

عندما يفسد الملح

ثلاثة نصوص مسرحية

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الالكتروني: unecriv@net.sy
aru@net.sy

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت
<http://www.awu-dam.org>

الإخراج الفني: وفاء الساطي
تصميم الغلاف: عبيد الزعبي

نصر اليوسف

عندما يفسد الملح

ثلاثة نصوص مسرحية

سلسلة المسرح (1)
2012

منشورات اتحاد الكتاب العرب
دمشق

الإهداء :

إلى كل من أحب وطنه "بيده"

وان لم يستطع "فباللسانه"

وان لم يستطع "فبقلبه"

وان يكن أضعف الحب....

امراة تحتفظ بحق الرد

الشخصيات :

- المرأة
- الزوج (زوجها)
- الغريب : شخصية وهمية من خيال الزوجة .
- شخصيات افتراضية بأدوار محدودة .

المسرح خال من قطع الديكور تعبيرا عن غياب حالة المكان والزمان التقليديين. الظلام يغطي كل شيء. أصوات متنوعة للرياح حسب شدتها. يضاء المسرح فجأة، يزداد صوت الريح، فتتوس الإضاءة بصورة تسارعية ثم تتطفئ مصباحا تلو الآخر. تستمر الرياح في الصفير. نسمع بين الحين والحين نشيج امرأة. يبدأ صوت الريح بالخفوت بينما يتصاعد النشيج تبادليا مع الريح. يقترب ضوء شمعة من يسار المسرح وعمقه حتى وسطه. نتبين امرأة تحمل شمعة كبيرة مضاءة بيد وشمعدانا مرتفعا نسبيا باليد الأخرى. تضع الشمعدان أمامها وتثبت الشمعة فوقه، ثم تمسح دموعها وتتأمل الشمعة قليلا. تخرج مرآة من جيبها وتعلقها على الشمعدان. تتأمل صورتها)

مم يشكو شعر فاحم فوق جبين ناصع؟.

المرأة:

شفتان دافئتان كما قطرتا نبيذ معتق.
أنوثتي يندر أن تملكها امرأة.

(صمت قصير تنهار على الأرض. تضع
وجهها بين راحتها وتبكي بصوت مرتفع)

لماذا إذا لماذا؟ من أسأل؟ من تجرؤ؟

المرأة:

(تستمر في البكاء. دائرة ضوئية. يظهر
فيها ظل امرأة يهبط من أعلى جدار خلفية
المسرح حتى يصل إلى الأرض ظل المرأة يثني
بجسد لا يستتره سوى الشعر المنسدل من
أعلى الرأس حتى أسفل القدمين)

لا يجدر بمن تدعوني أن تبكي.

الظل:

(تسرع المرأة نحو الظل شبه زاحفة)

سيدتي.. من أنت؟ هل دعوتك حقا؟

المرأة:

أنا المرأة الأم. الأم السيدة. السيدة التي لا
تفصل بين حقها وكرامتها.

الظل:

سيدتي! أنا...

المرأة:

(يشير الظل للمرأة أن تصمت)

بسبب النشيج هبطت من مكاني هناك،
ومن النشيج عرفت مما تشكين. كلام

الظل:

جميل من الزوج.. كلام وكفى..

لم يكن..

المرأة:

(مقاطعا) بدأ معك كما يبدأ الرجال مع
الزوجات. ثم أولى أحدكما ظهره للآخر.
وبينما تتألمين يستمر في مديح شامتك
الصغيرة أسفل ظهرك. يمدحها حتى يغفو.

شامتي!! أجل..

المرأة:

لا بد أنك تريدين مساعدة ما.

الظل:

سيدتي، هل كان.... أبي آدم يخون أمنا
حواء وتسكت؟

المرأة:

(تصدر عن الظل قهقهة مرتفعة مما يجعل
المرأة تخاف وتتكمش)

بالتأكيد لا.. حتى لو أراد ما كان ليجد
امرأة أخرى.

الظل:

أنا غبية في معظم الأحيان.

المرأة:

المرأة الغبية لم تولد بعد.

الظل:

(تصفق بيديها فتبعث دائرة ضوئية حمراء
اللون ولمجرد ملامستها للأرض تنهض ثلاث
فتيات وكأنهن خرجن من جوف الأرض.

إنهن جميلات يرتدين ملابس أنيقة مع
قبعات مزركشة يتقدمن من المرأة بخطوات
رشيقة وكأنهن يؤدين رقصة ما مع
الموسيقا المرحة. تمسك الفتاة الأولى المرأة
من يدها وتنتحي بها جانبا)
تعرفين هيلانة الجميلة.

الفتاة 1:

المرأة:

سبحت روحي معها من فراش زوجها
اليوناني إلى سرير حبيبها في طروادة،
ورأيت كيف دمر قلب امرأة مدينة بحالها.
لا بد أنها لاحظت اهتمام الملك بمحظياتها
أكثر منها... حرقت مدينة ولم تحرق قلبها.
(الفتاة الأولى تدفع المرأة نحو الفتاة الثانية
وهذه تمسك المرأة من شعرها وتشدها
لتركع على ركبتها أمامها ، تهمس في
أذنها وكأنها تذيع سرا خطيرا)

الفتاة 2:

المرأة:

من أي جهتيه شق قميص يوسف؟
(ترد بالطريقة ذاتها) من الخلف. أعرف. هي
التي...

الفتاة 3:

(تشير للمرأة لتقف) إذا كان للرجال
قوانينهم فلنا قوانيننا أيضا.

الظل:

أنصتن قليلا. يا إلهي!! ثمة امرأة أخرى
بدأت نشيجا حادا. سأعود إن استطعت.

(يصعد الظل كما نزل ، ثم تختفي البؤرة
الضوئية وكذلك الفتيات ، ولا يبقى سوى
ضوء الشمعة والمرأة أمامها. تنظر في المرأة
متأملة حاملة مع موسيقا مناسبة لمدة وجيزة
لكنها كافية. الموسيقا تشي بشرود المرأة
الشديد. يرن جرس الباب بشكل متواصل.
تغادر لتفتح ، ثم تعود وخلفها رجل غريب
يشد معطفه على جسده من البرد ويحمل
باليد الأخرى كرسيًا يضعه قرب
الشمعدان ويحاول الحصول على الدفء من
لهب الشمعة)

الغريب:

أبحث عن امرأة ، فوجدت كرسيًا أمام
الباب وضوء في الداخل.. يا للبرد!!!
(صمت قصير. المرأة تراقب الرجل هامسة
لنفسها)

المرأة:

لا تدنُ مني أيها الخوف. المرأة الغبية لم تولد
بعد.

(تسترق النظر في المرأة)

الغريب: سيدتي تحدثين نفسك ، كما لو أنك...
المرأة: لا.. أقصد أجل. ما رأيك أنت؟
الغريب: بماذا؟
المرأة: بالأمر.. بكل شيء؟
الغريب: هذا البرد اللعين يشل تفكيري ، ونار الشمعة لا تدفئ رجلا يشعر بالبرد.
المرأة: ولا حتى امرأة تشعر بالوحدة. (تقترب منه)
يا للبرد اللعين!!!
(يختلط صوت الريح بصوت المطر)
الغريب: بدأت تمطر.
(صمت قصير. صوت المطر يطفئ على كل شيء)
المرأة: لا بد أن أفكارا ما تجتاح جسدك...
الغريب: إلى حد ما... أفكر بما يحدث الآن بين الأرض والمطر. هي متلهفة عطشى وهو ينهمر يرويها بانفداع العاشق المجنون.
المرأة: لو أفسحت قليلا ، فأنا أشعر بالبرد كما أنت.

(تدفعه برفق لتجلس معه على طرف
الكرسي)

المرأة: لا شيء يدفع رجلا وامرأة كما السرير.
لا بد أن ديونيزوس إله الخمر والنزوات
اليوناني هو من صمم السرير وعرز فيه
أسافينه الخشبية الناعمة. أليس تصميمها
رائعا؟

الغريب: (ضاحكا) يتوقف الأمر غالبا على السرير
سيدتي.

المرأة: سريرنا... مصنوع من السينديان. سرير رائع
من أحضان الطبيعة.. أجل الطبيعة التي
تفتح صدرها بل تفرش جسدها الآن
لحبيبها المطر.

الغريب: الواقع ما قصدت السرير ذاته.. قصدت ما
فوقه.

المرأة: ما فوقه أشد إغراء.. أغطية من القطن
الناعم.. فاخر ومن الطبيعة أيضا.. الطبيعة
التي تستشعر في هذه اللحظات بذورا
صغيرة تبدأ بالتجذر لتصير ورودا يشمها
العاشقون.

الغريب: أنت تسيئين فهمي سيدتي. قصدت شريكة السرير لا أغطيته... تزوجت أربع نساء. إحداهن فقط ملأت عالمي بالدفء..

المرأة: أربع نساء!! لا بد أن خبرتك..

الغريب: فكرت ألا يفوتني شيء من المرأة فتزوجت سمراء وشقراء وطويلة وقصيرة...

المرأة: ألم أقل إنك خبير؟ حدسي لا يخونني أبدا. (يترك الكرسي ، ويضع يديه حول لهب الشمعة شارحا وجهة نظره)

الرجل: سرعان ما اكتشفت فشلي (تقف المرأة وتحقق بوجهه) فالسمراء البدينة غير السمراء النحيفة وهذه تختلف عن السمراء الوسط.. لقد حسبت الأمر مع صديقي، فوجدنا احتمالات الاختلاف بين درجات النساء تساوي عدد النساء بالضبط.

المرأة: أنت خبير بالفعل.

الغريب: قال صديقي: إذا أردت ألا يفوتك جمال امرأة فعليك أن تتزوج نساء الأرض جميعهن.. وأنت تعلمين.. ربما كان ذلك مستحيلا على رجل ضعيف البنية مثلي.

المرأة: هذه التجربة تعطيك هامشا كبيرا لتشعر
بالسعادة.. بل ولتقدمها لشريكة سريرك
أيضا..

(تقترب منه متحسسة عنقه)

المرأة: لا يزال جسدك باردا. ربما لا يليق بالرجل
أن يبقى باردا.

الغريب: أنت تثيرين أشجاني سيدتي.

(صمت قصير. المرأة تغادر عبر الظلام
باتجاه اليمين. الرجل يقرب يديه من
الشمعة. لا يطول الأمر حتى تعود وتقف
قربه)

الغريب: لا بد أن لديك مشكلة ما ، مشكلة
تعصف في كيانك بطريقة ما سيدتي.

المرأة: يمكنك أن تساعدني. ألا تعتقد إن الرجال
لا يتشابهون أيضا؟

الغريب: كما بصمات أصابعهم.

المرأة: ألم تتساءل أين ذهبتُ منذ قليل؟

الغريب: لا يُسأل المرء عما يفعله في بيته.

(المرأة تمسك بيد الرجل)

المرأة: لقد أرتجت الباب بالمزلاج.

الغريب: هذا أكثر أمانا. أشعر أنك امرأة رائعة وتحسبين أمورك بدقة. المطر الغزير والعواصف يحملان المفاجآت دائما.

المرأة: بطبيعة الحال لن أسمح لك بالمغادرة قبل أن تزور سريري.

الغريب: أخشى ألا أستطيع المكوث طويلا. فأنا على عجلة من أمري.

المرأة: أنا أيضا كذلك. السرير في الداخل.. الدفء لا يحتاج الكهرباء تعال.

الغريب: لا أريد أن أحظى بسريرك بينما ترتجفين من البرد.

المرأة: لا تتغابي. سنكون معا. وقد نتطرق إلى عبارات جميلة عن الأرض والمطر.. تجذر البذور.. والورد.. آه ما أجمل ذلك سيدي..

الغريب: تقصدين...

المرأة: فقط لتعرف امرأة أخرى. طعما جديدا. وأنا كذلك...

الغريب: هل أنت متأكدة..

المرأة: (تتصنع الغضب) هل سبق وأقسمت امرأة على ذلك وهي تدعوك؟ زوجي يخونني دائماً... أنا امرأة حاقدة.. حاقدة و... (بسرعة) ومحرومة أيضاً.

الغريب: هذا كثير على تحملي سيدتي.

المرأة: بدأت أشعر بالإحراج... هيا تعال.

الغريب: آه يا سيدتي! ماذا أقول لك؟

المرأة: لا تقل شيئاً. هيا..

الغريب: قطعت شوطاً طويلاً في ذلك الأمر لكنني توقفت فجأة.. توقفت تماماً عندما تعرضت لحادث أليم.. (صمت قصير) لم أعد رجلاً.. (ينهض) أشكرك على توفير الملجأ. يبدو أن المطر قد توقف وعليّ المغادرة.

المرأة: (غاضبة) ما دمت كذلك، فلم تبحث عن امرأة؟

الغريب: أبحث عن امرأتين. لجأنا إلى مكانين مختلفين ثم انقطع التيار، وهبت العاصفة... إذا كنت تريدين شيئاً، شيئاً ما. أي شيء فأنا في خدمتك سيدتي.

المرأة: لم تترك شيئاً يمكنك فعله. غادر فوراً. لقد
صعد الدم إلى رأسي.

الغريب: بدأت تشعرين بالدفء. هذا جيد.. وداعاً.

(يفادر. المرأة تعاود الجلوس قرب
الشمعدان، وتبدأ بكاء خافتاً يرتفع شيئاً
فشيئاً. يزداد صوت الريح. تنطفئ الشمعة
ويسقط الشمعدان على الأرض. ظلام لفترة
محدودة. يعود التيار الكهربائي ويضاء
المكان كاملاً. المسرح خال تماماً ولا أثر
للمرأة أو الشمعدان. رنين متواصل لجرس
البيت. تخرج المرأة من الداخل وهي تنشف
يديها بمريلة المطبخ. تسرع لتفتح الباب.
موسيقى صاخبة. يقف الزوج في مدخل
المكان وينظر بغضب)

الزوج: ألم تفرشي سجاد الشتاء على الأرضية بعد؟
ما الذي فعلته منذ ساعات إذا؟!! امرأة
غبية.. غبية وسخيفة.

المرأة: توقعت أن تأتي لمساعدتي. ثم انقطع التيار
حتى وصولك.

الزوج: لم نشتري الشمع إذا أيتها البلهاء؟

المرأة: أشعلت واحدة ، وصنعت طعام العشاء.
صنعته كما تحبه أنت.

الزوج: تفعلين الأشياء التي لا أحتاجها. تناولت
طعامي. لا توقظيني ، لأنني مجهد.

المرأة: أنت مجهد دائما و... أين كنت؟

الرجل: حيث كنت. لو لم تقتض الضرورة أن
أكون حيث ذهبت لما فعلت.

المرأة: أعرف. أعرف نم.. نم. تصبح على خير.

(يغادر الزوج حتى بداية المدخل ثم يلقي
عبارته ويغيب في الداخل)

الزوج: أطفئ هذا الضوء اللعين لأنه يصل إلى
غرفة النوم.

(تطفئ المرأة الإضاءة وتغيب. ظلام تام.
موسيقى حزينة مترافقة مع صوت بكاء
المرأة الخافت. تتقدم امرأة أخرى وبيدها
شمعدان فوقه شمعة كبيرة تسير حتى
أقصى يسار المسرح وتقف، ثم تتقدم امرأة
ثانية مع شمعدانها وتقف قرب السابقة ثم
امرأة ثالثة ورابعة حتى تُرصف بهن خلفية

المسرح. النساء واجمات حزينات أمام
الشموع. يزداد صوت الريح مترافقا مع
صوت ناي أقرب إلى البكاء ، يستمر
المشهد لفترة محدودة قبل إنزال الستارة
(الأخيرة)

عندما يفسد الملح

الشخصيات:

- 1- القاضي.
- 2- سلمى.
- 3- بائع الحلوى.
- 4- صانع المفاتيح الأحدث (اسم على مسمى حيث تبرز حديثه بصورة واضحة)
- 5- المحقق.
- 6- المحامي.
- 7- رجال أمن 1 + 2
- 8- الرجل المهم.
- رجال ونساء بأدوار عامة ومحدودة.

يقسم المسرح إلى المعالم الآتية :

- 1- وسط المسرح وعمقه مدخل يشبه الكهف وهو موارب نحو اليمين قليلا. يستخدم للدسائس من قبل جهة الشر في المسرحية ، وهو مكان جلوس القاضي أثناء سير المحاكمات حيث تلعب الإضاءة دورها في تغيير منظوره.
- 2- شارع أقصى يمين المسرح يمتد نحو العمق.
- 3- وسط المسرح وإلى اليمين قليلا يمثل قاعة المحكمة أثناء انعقادها وهو بيت القاضي فيما عدا ذلك بحيث يصير مدخل الكهف نافذة عليها ستارة شيفون تتمايل خلفها ظلال الأشجار ويصير وسط المسرح أيضا ساحة عامة.
- 4- بين المحكمة والشارع في اليمين مدخل دكان صانع المفاتيح الأحذب، ويستخدم أثناء سير المحكمة كغرفة حارس المحكمة.
- 5- في مقدمة المسرح تقريبا شجرة بأرومة ضخمة جداً

لكنها مقطوعة على ارتفاع متر تقريبا وهي يابسة
عدا فرع غض يصعد قريبا مرتفعا حوالي مترين.
يستخدم جذع الشجرة أحيانا من قبل بائع الحلوى
بحيث يضع فوقه وعاء النحاسي الدائري الشكل
بما فيه من حلوى وفي أقصى يمين المسرح ومقدمته
بئر تميزه فتحة الدائرية من الحجارة، وقد رُبط
حبل بإحدى حجارته، بينما ربط طرفه الآخر بدلو
صغير داخل البئر يستخدمه المارة لرفع الماء، ثم
يعيدون الدلو إلى البئر.

يستخدم البئر أيضا في نهاية جلسات المحكمة
كمحرقة للأوراق. تبقى مقدمة المسرح منفصلة عما
يجري في المحكمة أثناء انعقادها وبالتأكيد فقد
ترك هامش كبير لمختص السنوكرافيا لإنشاء
الروابط المنظرية وتناسقها على أن يلتزم بروح
إحياء الأحداث، كما سيكون للإضاءة دور
جمالي وإداري للمشاهد إلى حد كبير لكون
الديكور شبه ثابت، وسيأتي تنوعه وإعادة تشكيل
مفاصله من خلال الإضاءة.

يبدو المكان قريبا من محطة للقطارات القديمة من
خلال صافرات القطارات وحركتها.

- استهلال:
- يتحرك عدد من الشخصيات الرسمية عبر
الظلام باهتمام جيئة وذهابا وهم يتبادلون
جملا مقتضية.
- هل سيطلقون بعض العيارات النارية؟
- ضروري كي يستيقظ الناس.
- يجب أن يروا جنازة المغدور. صحيح.
(يرن هاتف أحدهم)
- ألو.. الجنازة على وشك التحرك؟... باتزان
ووقار طبعاً... وداعاً.
(يغلق هاتفه)
- كم يحتاج الأمر حتى تصل؟
- لدينا ما يكفي للاستعداد.
(تبدأ الإضاءة بالانتشار شيئاً فشيئاً،
فيتحول الحديث إلى ما يشبه الهمس)
- هل ألقوا القبض على القاتل؟
- هناك مشتبه بهم كثير، كان المرحوم
قاضياً فاسداً.. لذلك...
- (يخيم الصمت على المكان. فجأة يدوي
صوت عدد من الطلقات، ليعود الصمت من

جديد. أصوات انفتاح أبواب وانغلاقها. يصل عدد لا بأس به من الناس. بعضهم ارتدى ملابس الخروج وبعضهم مازال في ملابس النوم. أحدهم ارتدى فوق سرواله قميصا نسائيا وربطتين تتدليان من الياقة وحتى منتصف الصدر. الأشخاص الرسميون على المسرح ينظمون الناس في صف واحد خلفهم على طول المسرح. ينبه أحدهم من يرتدي قميصا نسائيا فيتأمل الرجل قميصه قليلا ثم يفك أزراره بسرعة يعاونه أقرب الموجودين إليه. يحاول رمي القميص بعيدا لكنه يعدل عن ذلك، ويكتفي بربطه حول خصره. تنطلق موسيقا رسمية، فيقف الأشخاص باستعداد صفا واحدا. يلي ذلك صوت أحدهم باكيا بنشيج مرتفع مع عبارات تفجع وكل ذلك يشي بعدم توازن الباكي نفسيا)

الصوت:

آخ يا حبيبي وسندي وأنسي. مت غدرا وما كنت غادرا.

(الأشخاص يؤدون التحية للجنازة التي صارت على وشك الظهور)

الصوت: إنهم يقدمون التحية يا صديقي الوحيد.
الجماهير جاءت لوداعك. لأنك كنت لطيفا
وقضيت مغدورا. الجماهير لا تضل طريقها.
(يعاود البكاء لكنه لا يظهر على المسرح.
تتقدم مجموعة من الرجال يحملون جنازة
يسيرونها بها بوقار. يعبرون المكان يتبعهم
الناس ثم الرسميون. يرن هاتف أحدهم فيرد
وهو يوشك على مغادرة المسرح)

- : ألو..

صوت: جنازة القاضي المغدور خرجت الآن من
المشرفة ، وهي في طريقها لتمر أمام
المحكمة.

- : خرجت.. لقد وصلت هنا سيدي.

صوت: موكب الجنازة لا يزال أمام باب المشرفة
وأنا أحدثك.

- : أمام المشرفة!! لقد.. أجل.. لا بأس سننتظر
وصولها.

صوت: احرصوا أن يراها الناس وهي تعبر بجلال
ووقار.

- : أجل سيدي... وداعا.

(يضرب كفا بكف من الحيرة والقلق
يغادر راكضا. المسرح خال.

موسيقا مرحة. يعود الشخص وهو يجبر
رجلا من قدمه حتى منتصف المسرح
ويركله ليتدحرج على الأرض)

- : من أنت، وما علاقتك بتلك الجنازة اللعينة؟
الشخص: أنا يا سيدي من سكان هذا الحي.

- : لمن تلك الجنازة ومن كنت تندب إذا؟ أهو
أبوك؟

الشخص: بل أحب منه، فأنا لم أر أبي قط.
- : أهى جنازة زوجتك أو ابنك. تحدث قبل أن
أنتزع لسانك.

الشخص: قطي وصديقي الوحيد في هذا العالم.
مات كما مات القاضي غيلة وغدرا، لذلك
قررت أن أحمله في جنازة لائقة وبينما
كنت أتوسل لأهل الحي كي ينقلوا جثته
إلى حفرتها، فوجئت بعدد من الرجال لم
أرهم قبلا يفعلون ذلك وعلى الأعناق مع
كل تلك الحفاوة يا سيدي.

(عدة طلقات تليها موسيقا رسمية. يقاد
الرجل نحو العمق بسرعة مع الركلات، ثم
نرى ظلال أشخاص يحملون جنازة مهيبة
يعبرون بها من يمين المسرح حتى يغيبوا في
يساره.

نسمع عبر الظلام من حين لآخر ضربات
مطرقة، كما نشاهد بصعوبة رجلين يثبتان
خشبات مشنقة في يمين المسرح. يضاء
الكهف حيث نرى سلمى مكبلة بقيود
ثقيلة مبالغ فيها جاثية على ركبتيهما يدور
حولها رجل 1 وهو لا يزال في سن الشباب.
يبدو الإرباك عليه. يجلس أمامها متأملا
وجهها الجميل. سلمى تبصق عليه)

سلمى: لم يعد بإمكانكم فعل شيء.

رجل 1: وأنت أيضا..

سلمى: يكفي أن ذلك السافل دُفن قبلي.

رجل 1: ألا تزالين حاقدة عليه؟

سلمى: وهل يستطيع أحد أن يخمنكم هو فاسد؟

هل حضرت آخر جلسة له؟

رجل1: زميلي الأكثر خبرة هو من يعتمدون عليه في المحكمة.

سلمى: هل يصح أن يقال عن طفلة في الخامسة من العمر إنها ترتدي ملابس مغرية؟ هل يصح أن يخفف حكم مغتصبها بناء على ذلك؟

رجل1: لهذا قتلته؟

سلمى: أليس سببا كافيا؟

رجل1: أنت فتاة جميلة.

سلمى: اللعنة عليك.

رجل1: لا تشبهين المجرمين في شيء.

سلمى: ما أجمل أغلال الموت!! إنها حصني من عيبتكم.

(رجل الأمن يحاول الإمساك بيدها، فتحرك الأغلال وتصفعه على وجهه)

رجل1: قصدت مواساتك. لا يتوقع أحد أن تغتالي قاضيا بحاله.

سلمى: لم يجزؤوه حتى اغتاله على دفعات.

رجل1: سوف يعدمونك الآن. أنا حزين جدا لأجلك. يا للخيبة!!

سلمى: مادام موتي بعد قتل ذلك القاضي الفاسد ،
فأنا سعيدة.أسفة من أجل الصففة. لا بد
أنني آلمتك.

(يدخل رجل2 أكبر سنا إلى الكهف فيهب
الرجل الأول واقفا. يبدو الرجل الثاني شديد
الحوول، حيث يحدث زميله وهو ينظر إلى
جهة أخرى)

رجل2: خيل إلي أنها مقتولة ، وسيتم تعليقها فور
وصولي.

(رجل1 ينتحي بزميله جانبا ، ويحدثه شبه
هامس)

رجل1: أنا جديد هنا ولم أفهم ما طلبوه مني.

رجل2: طلبوا أن تقتلها.

رجل1: صحيح.. لكنهم قالوا حرفيا أعدموها
بالغاز قبل تعليقها على المشنقة... إعدام وفق
المعايير الأوروبية كما قالوا..

رجل2: آ.. بالغاز!! أجل.. طريقة راقية.

رجل1: طلب مني المساعد إعدامها وغادر، لأن
صديقتة اتصلت به.

(رجل 2 ينشغل بالتفكير ولا ينتبه إلى حديث صاحبه)

رجل 1:

الإعدام بالغاز!! هل تعرف تلك الطريقة؟

رجل 2:

لا.. آ. طبعاً. أحضر أسطوانة الغاز من الداخل.

(رجل 1 يلقي نظرة حزينة على سلمى التي تبادلته بابتسامة وانحناءة من رأسها، ثم يغادر عبر عمق الكهف. رجل 2 يحدث سلمى وهو ينظر جهة أخرى بسبب حوله)

رجل 2:

سوف نسهل موتك قبل أن تتأرجحي على حبل المشنقة، لأن الإعدام بالغاز أكثر سرعة.. ستشعرين بصدمة في الدماغ ثم تتخدرين وتموتين.

سلمى:

هل تخجل أن تنظر في عيني، وأنت تحدثني أيها التافه، أم أنك جبان ومرعوب من فتاة مقيدة؟

رجل 2:

التافه سيبقى، لكن الحسنة سوف تتأرجح وهي تتلقى لعنات الجماهير. (يظهر رجل 1 قلقاً. لم يحضر ما طلب منه)

رجل 2:

أين جرة الغاز؟

رجل1: لم أجدها. لا توجد جرة للإعدام في الداخل.

(رجل2 يدفع زميله جانبا بنزق ويندفع خارجا ، ليعود سريعا حاملا جرة غاز لا يزال جزء من خرطوم الموقد مرتبطا بها)

رجل2: لا أعرف أين الأحول. ألم ترها؟

رجل1: خلّتك تتحدث عن جرة أخرى. سيفضب المساعد عندما لا يستطيع تسخين إبريق الشاي. لقد...

رجل2: ليذهب إلى الجحيم. اجلس قرب المرأة وثبّتها جيدا. لا أعتقد إن الإعدام بالغاز سيضيف جديدا على الأمر.

(رجل1 يجلس قرب سلمى ويحتضنها بحنان. رجل2 يرفع أسطوانة الغاز بكلتا يديه إلى الأعلى ثم يرمي بها على رأس سلمى ، لكنه بسبب حوله يصيب أعلى كتف صاحبه وتتدحرج أسطوانة الغاز بعيدا مصدرة صوت حركتها. رجل1 يتألم ممسكا كتفه بيده، وينهض غاضبا. سلمى تضحك بصوت عال)

- سلمى: هكذا يعدمون بالغاز؟
- رجل1: كسرت كتفي.
- رجل2: لا بد أنهم يدرّبون العناصر على التسديد في أوروبا قبل تكليفهم باستخدام هذه الطريقة... مع أنها غير مضمونة النجاح دائماً.
- رجل1: ما الذي سنفعله؟
- رجل2: أعدمها أنت. دعنا نتدرب على طريقة الإعدام بالغاز مثلهم.
- رجل1: بعد أن كسرت كتفي أيها الأحمق؟
- رجل2: أنا لا يمكنني أن أصيب رأسها إلا إذا سددت عليك أنت.. هل تعلم؟ ذات مرة فعلت ذلك ونجح في حقل الرمي.. سددت على هدف جاري فأصبت هدفي. لكنني أصبت أمي بالعصا مرة أخرى.
- رجل1: وهل كنت تسدد على والدك؟
- رجل2: يومها حاولت أن أقتل أفعى في حديقة بيتنا، فسددت نحو أمي لأصيب الأفعى لكن العصا أصابت أمي على رأسها وهربت

الأفعى. الأمور تأتي معي مصادفة.

دع غيرنا يقوم بإعدامها.

رجل 1:

سوف نشنقها مباشرة... إذا سألك المحقق..

رجل 2:

أو أنا أكثر براعة منك.. سأحل القضية.

(يقودانها عبر الظلام حتى المشنقة. لا يطول

الأمر حتى نرى جثتها تتأرجح بين عوارض

المشنقة)

الفصل الأول

المشهد الأول

(صانع المفاتيح الأحدب يفتح دكانه بهدوء ، ويخرج رزمة من المفاتيح يتأملها قليلا ثم يلقي بها إلى الداخل بشكل فوضوي ، وينشغل بصنع أحد المفاتيح حيث تصدر آلتها صوتها المعهود. إنه يعمل بإتقان واضح. يصل بائع الحلوى حاملا طبقه النحاسي المملوء بالحلوى. يضعه فوق جذع الشجرة في مقدمة المسرح. تعبر المسرح بعض الشخصيات جيئة وذهابا ، المكان يعج بالأوراق المتطايرة والأوساخ. تدخل امرأة تنظر إلى بائع الحلوى قليلا ثم تتجه نحو البئر. البائع يراقبها وهي ترفع الماء بواسطة الدلو. تشرب ، ثم تغسل يديها داخل الدلو وتعيد ما بقي من الماء إلى البئر)

البائع:

مياه البئر عذبة على الرغم من نفوق الفئران
فيها باستمرار.

(المرأة لا تعلق بشيء. صوت ذبابة. البائع
يخرج مذبة صغيرة من تحت ملابسه ويتابع
حركة الذبابة فوق الحلوى. يخرج صانع
المفاتيح من دكانه ويتقدم من بائع الحلوى
ويتابع تعقبه للذبابة. البائع يضرب الذبابة
بالمذبة ويقتلها فوق الحلوى. ثم يتجه إلى
المرأة)

البائع:

الحلوى لذيذة بعد الماء البارد.

المرأة:

أعطني قطعة... ليست تلك التي قتلت عليها
الذبابة.

(البائع يقدم قطعة حلوى للمرأة، ويأخذ
ثمنها. صانع المفاتيح يتأمل الحلوى ويخرج
قطعة نقدية ويقدمها للبائع الذي يتأملها
وهو يهز رأسه معبرا عن عدم رضاه)

البائع:

الحلوى جيدة وتحتاج نقودا أكثر.

(البائع يرمي النقود بعيدا. صانع المفاتيح
يسرع لاستعادتها، وتنظيفها بتمريرها تحت
إبطه، ثم يعود إلى قرب الحلوى)

ص
المفاتيح:

أعطني تلك القطعة التي قتلت الذبابة فوقها.

(البائع يأخذ النقود ويأوله قطعة الحلوى بعد وضعها ضمن ورقة أنيقة المظهر. صانع المفاتيح يأخذ الحلوى ويغادر إلى دكانه. المرأة انتهت من تناول الحلوى. تتجه إلى البئر وتخرج الدلو منه مملوءاً بالماء لتشرب ثم تعيد ما بقي منه داخل البئر. تتجه نحو دكان صانع المفاتيح وتجلس على حجر قرب الدكان)

المرأة:

متى يحضر القاضي؟ يقال إن أحدهم قتله.. هل هذا صحيح؟

ص. المفاتيح:

هل لديك مفتاح يحتاج الإصلاح؟

المرأة:

ليأخذه الشيطان، وليرسل الله عليه نسورا تفقأ عينيه. قاض مستهتر.

(صانع المفاتيح يقف فجأة ويمسك المرأة من يدها ويجرها بعيداً عن مدخل الدكان، ثم يعود إلى عمله. بائع الحلوى يشير لها بما يوحي بجنون صانع المفاتيح. تنهض المرأة وتتجه إلى البائع)

المرأة:

هل هو من أقرباء القاضي الفاسد؟

(بائع الحلوى يرفع طبق الحلوى ويغادر مذعورا. تحاول المرأة العودة إلى قرب دكان صانع المفاتيح لكن الرجل يأخذ مجموعة المفاتيح ويرفعها عاليا مهددا بها المرأة ، فتغادر. يدخل المحقق من يسار المسرح ويتجه إلى الدكان. صانع المفاتيح لا يعبأ به ، ويحدثه دون أن يترك عمله)

المحقق:

أنت من يدعونه صانع المفاتيح الأحدث؟

ص. المفاتيح: حدبتي لا تمنعني من العمل بإتقان ، ولا أتقاضى أجورا عالية.

المحقق:

أنت جار المحكمة.

ص. المفاتيح:

الواقع إن المحكمة هي التي صارت جارتني ، فعندما ورثت دكاني عن والدي كان المكان أشبه بخان مهجور. هل تريد صنع مفتاح أو إصلاح قفل؟

المحقق:

أريد أن أسألك عن القاضي الذي اغتيل.

(صانع المفاتيح ينهض ويمسك المحقق من يده ليجره خارجا ، لكن المحقق يتشبث

بمكانه بيد ويخرج بطاقة تعريف باليد
(الأخرى)

المحقق: أنا المحقق في اغتيال القاضي.

(صانع المفاتيح يقبل يد المحقق عدة مرات،
ويعود للجلوس)

ص.المفاتيح: توقعت إن القضية انتهت بإعدام القاتلة.

المحقق: يدعي محاميها إنها أعدمتم ظلما. هل
لاحظت من يكره ذلك القاضي؟

المفاتيح: كان بعض الناس يخرجون من المحكمة
سعداء راضين وبعضهم.. لم يكونوا
كذلك.

المحقق: لا بد أنهم كانوا يتحدثون أمامك أو
يشكون من أمر ما.

ص.المفاتيح: لا يحدثني الناس عادة إلا عندما أصنع لهم
المفاتيح والأقفال.

المحقق: كيف عرفت أن بعضهم كان يخرج غير
راض.

ص.المفاتيح: بالاستنتاج. صحيح أنني لم أتعلم كثيرا،
لكنني أستطيع الاستنتاج أحيانا.

المحقق: أرجو ألا تلف كثيرا حول قصدك.

صانع المفاتيح: كان بعضهم يبصق علي وهو يغادر، ومع مرور الوقت عرفت أن الغاضبين فقط يبصقون في وجهي.

المحقق: ألم يفعل ذلك أحد الخارجين من السعداء؟

ص.المفاتيح: هؤلاء يكتفون بإلقاء نظرة احتقار، لقد استتجت الأمر بعد فترة.

(المحقق يبدي استياء وهو يتشمم بأنفه)

المحقق: ثمّة رائحة لجة ما.

ص.المفاتيح: أنت محق يا سيدي. هناك جثة ذبابة قريبة..

(صانع المفاتيح يبحث عن قطعة الحلوى ويرفع الذبابة عنها وهو يولي ظهره للمحقق، ثم يستدير ويقدم له الحلوى)

ص.المفاتيح: أنت تجيد عملك مثلي. أنفك يعمل جيدا.

(المحقق يتناول الحلوى. يصل صبي في الثامنة من العمر. يتجه إلى صانع المفاتيح)

الصبي: أمي ترجوك أن تأتي إلى منزلنا لأن..

ص.المفاتيح: قفلت الباب على والديك في غرفة النوم ،

وأضعت المفتاح مرة أخرى؟

الصبي: هذه المرة والدي هو من..

ص.المفاتيح: اسبقني بني.. (يغادر الصبي عدة خطوات)

قل لهما أن يرتديا ملابسهما ريثما آتي.

المحقق: الحلوى لذيذة.

(صمت قصير يقطعه المحقق)

المحقق: هل تتوقع أن تكون سلمى هي..

ص.المفاتيح: لا. أنا لا أتوقع إلا شيئاً واحداً، وتصيب

توقعاتي دائماً.

المحقق: (باهتمام) ما الذي تتوقعه؟

ص.المفاتيح: أتوقع تعطلّ الأقفال باستمرار.

المحقق: ألم تدخل سلمى دكانك يوماً ما؟

ص.المفاتيح: لا بد أنها فعلت ذات يوم قبل إعدامها،

لصنع نسخة مفتاح إضافية أو لإصلاح قفل

ما. لم يعد صانعو الأقفال يهتمون بالجودة.

(ينهض صانع المفاتيح ويبحث داخل

الدكان قليلاً ثم يعود بقفل عليه زخرفات)

ص.المفاتيح: انظر إلى هذا القفل كم هو جميل من

الخارج، لكنه تعطل في اليوم التالي
لاستخدامه.

المحقق: ركّز قليلاً... هل رأيت سلمى تحوم حول
المحكمة أو تخرج منها ذات يوم وتبصق
عليك؟

ص.المفاتيح: في الواقع أذكر فتاة خرجت من المحكمة
وهي تبرير كالهرة الغاضبة، ثم وقفت
أمامي وبصقت باتجاهي مرتين.

المحقق: أهى من أعدمت؟

ص.المفاتيح: الواقع لم أر سلمى التي أعدمت. لا
يمكنني النظر إلى المشنوقين ذات يوم
تجرأت ونظرت إلى أحدهم. خمن الذي
حصل.

المحقق: (ممتعضاً) لا أعرف.

ص.المفاتيح: اضطررت لتغيير ملابسى الداخلية مرتين
وإلى قلب الفراش على وجهه الآخر كي
أتجنب البرودة. سيدي ، ثمة رجل وامرأة في
غرفة نوم مقفلة عليهما و...

المحقق: حاول أن تدقق في وجوه الذين يبصقون
عليك في المرات القادمة.

(يفادر المحقق. صانع المفاتيح يأخذ رزمتي
مفاتيح ويفلق دكانه ويفادر يدخل أحدهم
حاملا مكنسة بعصا طويلة وقفّة متوسطة
الحجم. يضعهما جانبا ويتجول في الساحة
وكأنه يدرس خطة ما، ثم يأخذ المكنسة
ويجمع الأوساخ والأوراق المتطايرة، ويضعها
في القفة، ثم يتفحص المكان من جديد
ومعه القفة باحثا عن مكان يفرغها فيه
حتى يصل إلى البئر، فيضع القفة جانبا
ويرفع الدلو من البئر ويشرب حتى يرتوي.
يعيد الدلو إلى البئر، ويطمئن إلى كونه
غير مراقب ثم يفرغ محتويات القفة في
البئر، ويأخذ المكنسة والقفة ويفادر)

المشهد الثاني

قاعة المحكمة

(ثمة كرسي وطاولة للقاضي في الكهف الذي أضيء إضاءة كافية ليصير جزءاً من المحكمة. بواب المحكمة يقف في دكان صانع المفاتيح الذي تحوّل مدخله إلى ما يشبه "الكولبة" - وهي غرفة خشبية صغيرة تستخدم للحارس أو الشرطي - في يمين المحكمة قفص اتهام فارغ. عدد مناسب من الكراسي في قاعة المحكمة من أجل من يحضر الجلسة. يدخل الحارس وهو رجل 2 الأحول. يقف في مدخل القاعة يفتش الناس القادمين إليها تدخل سلمى ومعها طفلة في الخامسة من العمر ترتدي فستاناً قصيراً إلى حد ما. يغادر الحارس عبر يمين المسرح. سلمى تجلس في مقدمة القاعة تعبت بشعر الطفلة. موسيقا تعبر عن جو القلق. لا يطول

الأمر حتى يعود الحارس ومعه المتهم وهو رجل في الخمسينيات مظهره يوحي بالثراء الفاحش. يرافقه محاميه. الرجل غير مكبل اليدين. يسير حتى منتصف المحكمة، فيسرع الحارس ويفتح باب قفص الاتهام ثم يغلقه بهدوء بعد دخول المتهم. تنهض سلمى غاضبة نحو قفص الاتهام وهي تهدد المتهم)

سلمى:

إن لم يحكم عليك بالإعدام فسوف أقتلك بيدي أيها الخسيس.

(يسرع المحامي ليقف بينها وبين قفص الاتهام. الحارس يدفعها إلى مقعدها، ويذهب ليقف في غرفة الحارس. يصل القاضي عبر عمق الكهف. إنه في أزدل العمر. يجلس على كرسيه. يستخدم نظارة سميكة بصورة واضحة، وبين الحين والآخر يستخدم قلم العطاس، ثم يجفف أنفه بمنديل قذر يضعه على الطاولة بانتظار استخدامه مرة أخرى سواء لتجفيف أنفه أو مسح نظارته. يظهر سوء ثبات أسنانه في بعض الأحرف. يصرخ الحارس وهو يمط

عنقه ويحرك رأسه معلنا بدء الجلسة
بصوت جهوري)

محكمة....

الحارس:

(ينهض الجميع. يقف القاضي ويلتفت إلى
المتهم ويحييه بابتسامة خفيفة. يجلس القاضي
فيجاريه الموجودون. القاضي يخرج أحد الملفات
ويفتحه من درج الطاولة يصل من خارج القاعة
صوت جماعي غير واضح. الحارس يندفع
بسرعة عبر الشارع في اليسار ويقف في نهاية
المسرح متجها نحو العمق)

أحسنتم إذ تركتم مسافة بينكم وبين
المحكمة.

الحارس:

أعدموا مغتصب الأطفال. الموت للفاسق.

جماعي:

القاضي هو من يحدد. اهدؤوا ودعونا نعمل.

الحارس:

(للحارس) ما الذي يجري أيها الحارس؟

القاضي:

كالعادة. غوغاء.

الحارس:

(واضعا يده خلف أذنه طلبا للسمع) عواء!!
ألم تقض البلدية على الكلاب الشاردة
بعد؟ هل نؤجل الجلسة؟

القاضي:

- (يقترب الحارس ليضع فمه قرب أذن القاضي ويحدثه بصوت أقرب إلى الصراخ)
الحارس: غوغاء. غوغاء.
- هل جاءت معهم سلمى تلك الفتاة العدوانية؟
القاضي: (بالطريقة السابقة) سلمى العدوانية هي صاحبة القضية اليوم وهي هناك في الصف الأول.
- (القاضي يبدي بعض القلق)
القاضي: هل سمعتني وأنا أصفها بالحاقدة؟
الحارس: المهم هو ما تراه العدالة.
- (القاضي يرفع منديله القذر ويمسح عدستي نظارته ثم ينظر في الملف أمامه)
القاضي: هل جاء طرفا القضية.
سلمى: أنا هنا. أجل.
- (الحارس يومئ برأسه أمام القاضي إيجاباً)
هتافات بعيدة: الموت لمغتصب الأطفال. ليتمت الفاسق.
القاضي: كم سنك؟
سلمى: خمس وعشرون.

القاضي: إذا كنت فوق العشرين أومئى برأسك نحو الأسفل.

(سلمى تومئ كما أشار.)

القاضي: القضية قضية اغتصاب من النوع العادي إذا، وليست اعتداء على قاصر كما ورد في الملف.

(الحارس يفتش في أحد أدراج طاولة القاضي ثم يخرج سماعة أذن ويسلمها للقاضي الذي يضعها في إحدى أذنيه)

القاضي: لقد نسيت أن أستخدمها (لسلمى) اشرحى لنا بالتفصيل كيف اغتصبك؛ هل فك أزرارك زرا زرا أم قطعها دفعة واحدة، هل ربطك أم أنك لنت في نهاية المطاف، وأخيرا هل شعرت ب.. به وأنتما رجل مندفع وامرأة شابة (يتأملها) ما شاء الله!!

سلمى: الاعتداء على هذه الصغيرة أختي ابنة الخامسة وليس عليّ أيها القاضي العا...دل.
(ينتفض مجامي المتهم ويقف وسط المحكمة)

المحامي: محامي المتهم يعترض على إهانة المحكمة ممثلة بأنزه قضااتها.

القاضي: الاعتراض مقبول. تفضل بالجلوس ودعني أوجه العدالة كيلا نرتكب خطأ ما (لسلمى) الاعتداء على الصغيرة إذا. هل وكلت الصغيرة محاميا عنها؟

سلمى: ليس لديها المال لذلك.

القاضي: دعي الصغيرة تقترب مني لأستجوبها.

سلمى: يفترض أن تكون هذه الجلسة للنطق بالحكم. كل التقارير حول ملابساتها في تلك الإضبارة أمامك.

(القاضي يعاود مسح نظارته، ثم يدقق في الإضبارة من جديد)

القاضي: صحيح. التهمة هي الاعتداء على قاصر لم تتجاوز الخامسة من العمر.

أصوات: إعدام إعدام إعدام.

القاضي: (للحارس) أبعده هؤلاء الغوغاء حالا.. كي لا يخلوا بأمن المحكمة وعدالتها.

(يفادر الحارس من يسار المسرح. تصلنا

حواراته مع المحتجين القاضي يعاود قراءة
(الملف)

الحارس: غادروا قبل أن يغضب القاضي.

- : يجب أن يعدم. أعدموه شنقا..

- : الموت للحقير. لن نتزحزح قبل إعدامه.

الحارس: إن لم تصمتوا فسوف.. اسمعوا؛ انتظروا

حتى صدور الحكم دون كلام فربما
حكم عليه بما هو أصعب من الإعدام.

- : عاشت العدالة. عاشت العدالة.

(يعود الحارس ويقف في مقدمة دكان
صانع المفاتيح. القاضي يغلق الملف)

القاضي: ليتفضل محامي المتهم.

سلمى: بل محامي المجرم.

القاضي: المتهم بريء حتى تثبت إدانته... ربما صَفَّقنا
له بعد سماع ملايسات ما جرى. هل تريد
الصغيرة صاحبة القضية توجيه أسئلة
للمتهم؟

(يصمت القاضي قليلا لإتاحة الفرصة، ثم
يتجه إلى المحامي)

القاضي: إذا... ليقدم محامي المتهم دفاعه الأخير.

(يتقدم المحامي باعتزاز)

المحامي: شكرا لحصافتكم سيدي القاضي. إن

موكلي ولا حول ولا قوة إلا بالله.. ماذا أقول لكم.. عمل خيرا فلقي شرا. حاول إيناس الفتاة التي كانت تبكي.. فتصدى له. (أعلى) خمنوا من تصدى له.. تصدى له الشيطان ، ومن الشيطان يا إخوتي؟ من منا يدعي أنه بقوته أو أن له ذكاء دسائسه (القاضي يبدأ يغفو) فكان ما كان، ولا تظن المحكمة الموقرة إن موكلي متهرب من مسؤولياته تجاه ما جرى، فهو يعتذر للصغيرة الملاك (بنبرة يحاول أن تكون مؤثرة) وهو على استعداد لتعويضها عما لحق بها وشكرا.

(تنهض سلمى وتبصق على المحامي)

سلمى: دنست نفسك وليس القانون.

(يسرع الحارس لإيقاظ القاضي بتحريكه)

المحامي: أحترم مشاعرك سيدتي.

- القاضي: (لسلمى) هل للصغيرة ثياب غير هذه التي ترتديها الآن؟
- سلمى: لا. ما علاقة هذا بالقضية؟
- المتهم: ثلاثون بذلة هدية مني غير التعويض.
- القاضي: لا يجوز لك الكلام إلا إذا طُلب منك.
- (يصمت قليلا ناقلا نظره بين سلمى والمتهم)
- القاضي: رفعت الجلسة للتريث قبل إصدار الحكم. (للموجودين) لا تبتعدوا كثيرا.
- (ينهض ليفادر عبر عمق الكهف لكن المحامي يقترب منه ملتصقا عدم الخروج)
- المحامي: ألتمس من سعادة القاضي عدم المغادرة مع الحارس حفاظا على حياة موكلي.
- (يغمز القاضي أو يتصرف بما يشي بقبوله ما يريده القاضي من رشوة، فيعود الأخير للجلوس)
- القاضي: (للحارس) أعلن افتتاح الجلسة من جديد أيها الحارس.
- الحارس: من جديد وفورا محكم...ة

القاضي: باعتبار غياب الغموض عن القضية، مع اعتراف المذنب أعلن قبولي التماس المحامي. (إلى المتهم) قف عند تلاوة الحكم.

المتهم: أنا واقف بطبيعة الحال سيدي.

القاضي: أعرف... لقد حكمت المحكمة على المتهم حضوريا بالإعدام شنقا حتى الموت. (ضوضاء وتساؤلات في القاعة)

- : إعدام!!!

- : عاش القاضي.

- : عاشت العدالة.

سلمى: (تبكي) إعدام.. إزهاق روحه!! يالها من روعة!! أعدها سيدي

ومولاي القاضي. لقد فاجأتني (تخرج سكيننا من تحت ثوبها) كنت أتوقع أنك لن تكون عادلا كعادتك لا تؤاخذني.. لم أجيء لأسمع الحكم، بل لطفنه حتى الموت. أعدها سيدي ومولاي القاضي أرجوك.

القاضي: من هذه المجنونة التي تغمز في قناة العدالة؟ وأنتم أيها الغوغاء لا تقاطعوني وأنا أتلو

الحكم. اجلسوا تفضلوا اجلسوا، ولتأخذ
العدالة مجراها..

سلمى: أجل لتأخذ العدالة مجراها. أعتذر سيدي
القاضي.

القاضي: لقد حكمت المحكمة على المتهم بالإعدام
شنقا حتى الموت من حيث الطبيعة الجرمية
للمسألة، وبما أن الصغيرة الجميلة قد
أغرقت المتهم عبر ملابسها القصيرة التي
نراها فيها الآن، مع تدخل إغواء الشيطان،
فقد حُفّف الحكم إلى الأشغال الشاقة
المؤبدة، ونظرا لكونه قد تعهد بالتعويض
فقد صدر الحكم مع وقف التنفيذ. (إلى
المتهم) تزوج بني فالزواج حصن الفتى. (إلى
الفتاة) لا تتقي بالصغيرة وإن لم تتجاوز
الخامسة. روح الأنثى تولد مع البنات. رفعت
الجلسة.

(تندفع سلمى نحو القاضي لكن الموجودين
يحولون بينها وبين الحركة)

سلمى: قاض فاسد. سأقتلك أنت. أنت ميت. لن
تحيا العدالة وأنت فيها.

(تعليم تدريجي. يغادر الجميع ماعدا سلمى والطفلة حيث تتجه سلمى إلى البئر وتفتح الماء لتسقي الصغيرة. يتقدم منها الحارس ومعه سلة نفايات المحكمة. ينتظر حتى تعيد الدلو إلى البئر، ثم يفرغ سلة النفايات داخل البئر ويغادر. ظلام تام. موسيقا حزينة لفترة موجزة تليها أغنية شعبية عن الظلم أو الحزن. صانع المفاتيح يضيء شمعة في مكانه وينكب على فك براغي أحد الأقفال لمعالجته بهدوء. رجل 2 يضيء طريقه بشمعة. يدخل المحكمة التي أزيلت منها جميع ما يدل على أنها محكمة ، أضيف سرير إلى آخرها قرب الكهف الذي صار نافذة مغطاة بستارة شفافة بدأ في هذه اللحظة يظهر عبرها ضوء القمر ليضيء على المكان سحرا خاصا ، حيث نرى أغصان الأشجار عبر النافذة تتحرك مع نسائم الريح الرخية وضوء القمر الساطع. رجل 2 وضع الشمعة في مكان مناسب ليهتم بترتيب سرير القاضي. تدخل سلمى من اليسار ومعها شمعة تضيء بها طريقها.

تقف قرب دكان صانع المفاتيح ثم تطفئ شمعتها. تخرج من كيس بيدها قفلا معطلا)

سلمى:

لسوء الحظ تعطل في هذا الظلام.

(صانع المفاتيح يتأمل القفل ويحدثها بصوت ضعيف لا نسمعه، لكن طريقة إصغائها تدل على أهمية كلامه. صانع المفاتيح يمسح القفل بتمريره تحت إبطه، لكن سلمى تخرج من جيبها منديلا مزركشا، وتقدمه له ليتأمله قليلا ثم يمسح به القفل، وينهض ليحضر لها قفلا جديدا مع مفاتيحه. يضع القفل القديم جانبا)

صانع المفاتيح:

استخدمي هذا وعودي غدا، لأنني سأذهب لإصلاح ثلاثة أقفال لمحال تجارية ينتظر أصحابها فيها.

(الفتاة تطفئ الشمعة في الدكان. أصوات هامسة ثم يخيم الصمت. صوت انغلاق باب دكان صانع المفاتيح. نراه يتحرك مغادرا وحيدا. الظلام سيد المكان عدا حزمة ضوء من القمر قادمة عبر النافذة. يدخل

القاضي من يسار القاعة ونحن لا نراه
بطبيعة الحال حتى يصير داخل القاعة
بسبب الظلام خارجا. يقف رجل 2 أمامه
ويحدثه باحترام)

رجل 2:

صاروا يقطعون الكهرباء باستمرار.

القاضي:

ليتهم يكررون هذا كلما طلع القمر. ما
أجمل نقاء الطبيعة!!

رجل 2:

نوما هائئا وأحلاما سعيدة سيدي القاضي...
كل شيء آمن..

(يفادر رجل 2 عبر يسار الغرفة. القاضي
يتحرك في الظلام جهة اليسار حيث يفترض
وجود الباب. نسمع صوت المفتاح وهو يقفل
الباب. يعود القاضي بعد ذلك ويستقر قرب
النافذة ليتأمل القمر في الخارج لفترة قصيرة
ثم يندفع بقدر ما يستطيع، كونه كبير
السن نحو السرير ويرمي جسده عليه
بسعادة. نلمح ظل فتاة قرب النافذة من
الخارج تحاول مراقبة القاضي لفترة ثم
تغادر. ينحسر ضوء القمر شيئا فشيئا حتى
يختفي ويعم الظلام)

المشهد الثالث

(المسرح مظلم. إضاءة بؤرية على الكهف
حيث يتهامس المحقق مع رجلي الأمن 1+2.
الرجلان يصغيان باهتمام شديد)

المحقق: محامي الحق العام مازال يشكك في كون
الفتاة هي القاتلة.

رجل 2: هي القاتلة سيدي.

المحقق: كيف بدت خلال ساعتها الأخيرة؟

رجل 1: مرتاحة إلى حد ما.

المحقق: هل قالت شيئاً عندما علمت إنها ستعدم
بالغاز؟ هل علقت؟ هل سخرت؟ أي شيء
قالت؟

رجل 2: للحقيقة سيدي؛ لم نعدمها بالغاز. لم..
نتدرب قبلاً.. ولم نوفق. شنقناها مباشرة.

- المحقق: ألم تعلن براءتها أو ما شابه وأنتم تضعون الأنشطة في عنقها؟
- رجل1: بصقت علينا فقط.
- المحقق: ليس لدينا غير صانع المفاتيح الأحذب. هناك من رأى الفتاة تخرج من دكانه ليلة الحادثة.
- رجل1: سيدي..
- المحقق: لا تقاطعني. ستذهب أنت إليه باعتبارك جديداً ، ولم يتعرف عليك بعد.
- (المحقق لا يجد ما يكمل به فكرته فيروح ويجيء قلقاً. ينتفض رجل2 فجأة)
- رجل2: وجدتها سيدي. وجدتها.
- المحقق: قل ولا ترفع صوتك.
- رجل2: ليلة الاغتيال رتبت سرير القاضي بنفسى ، وعندما غادرت سمعت صوت قفل الباب وهو يدور.
- المحقق: وماذا في كل ذلك؟
- رجل2: يعني إن القاضي أقفل الباب ، وبما أن الفتاة ذهبت إلى صانع المفاتيح ، فلا بد أنها طلبت منه ما يمكن من فتح ذلك الباب.

المحقق:

أحسنت. (لرجل1) هذا ما أريد التأكد منه: ستذهب إليه وتخبره أنك... أنك.. تحتاج ما يعين على فتح بابك، وإذا أصر على الذهاب بنفسه، أخبره أنك من مدينة بعيدة... ثم عد بأداة فتح الأبواب المستعصية سريعا.

(تختفي البؤرة الضوئية ويعود الظلام لنسمع من خلاله همسا غير مفهوم لفترة وجيزة. أصوات عدة أقفال تفتح بالتسلسل. يضاء المسرح. المحقق يجلس خلف طاولته في الكهف الذي صار جزءا من غرفة المحقق. رجل2 يقف إلى جانب المحقق وإلى الخلف قليلا. صانع المفاتيح يقف في جهة ورجل1 في جهة أخرى. رجل1 على وجهه بعض الندبات)

صانع المفاتيح: لمَ أنا هنا حضرة المحقق؟

المحقق: لأنك ضربت هذا الرجل.

ص.المفاتيح: طلب مني أداة لسرقة البيوت مدعيا أنه سيفتح بيته فقط.

المحقق: وهل لديك مثل تلك الأداة؟

ص.المفاتيح: أنا خبير بسير الحركة داخل القفل ولدي ما يمكنني من فتحه مهما كانت صنعة معقدة.

المحقق: (لرجل1) وهل طلبت منه ذلك؟

رجل1: من أجل بيتي.

المحقق: سننظر في أمرك. (يغمز بعينه رجل2) خذه إلى النظارة.

(رجل2 يقود رجل1 خارجا عبر اليسار. يلتفت المحقق إلى صانع المفاتيح، ويريه منديل سلمى)

المحقق: هل تذكر أنك رأيت هذا المنديل؟

ص.المفاتيح: لا. لا أعتقد... (فجأة) أجل. يخيل إلي أنني رأيت. رأيت. رأيت. فعلا لا بد أنني رأيت.

المحقق: مع من؟

ص.المفاتيح: مع فتاة... كما أعتقد جاءني من أجل قفل بيتها. في وقت انقطع فيه التيار.

المحقق: وهل كانت تحمل المنديل بيدها حتى رأيت؟

ص.المفاتيح: كانت تحمل شمعة فقط، ولا أذكر لم
أخرجت منديلها. ربما تمخطت.. لا لا، لم
يتمخط أحد في دكاني. لا أذكر.

المحقق: لا بد أنها طلبت تلك الأداة التي..

ص.المفاتيح: بل طلبت إصلاح قفل أحضرته معها.

المحقق: هل كانت هي الفتاة التي أهدمت؟ تذكر.

ص.المفاتيح: سيدي أنا لا أستطيع النظر إلى وجوه
المشنوقين. سبق وأخبرتكم بالأمر.

المحقق: وهل أصلحته لها؟

ص.المفاتيح: آ.. تذكرت. في الواقع لم أصلحه بسبب
انقطاع التيار أو بسبب انشغالي بما هو أهم
ربما.. لكنني أعطيتها بديلا عنه لتقفل بابها
على أن أصلحه لاحقا.

المحقق: لا بد أنها تركت بصماتها على القفل
عندك.

ص.المفاتيح: آ.. تذكرت رحم الله والديك. تذكرت الآن
كيف رأيت منديلها وكيف أعطتني هذا
المنديل بالضبط حتى أمسح القفل الذي
أحضرته معها. ربما تعمدت مسح بصماتها

أو كان الأمر مجرد مصادفة.

المحقق: هل تطلب عادة ممن يحضرون أقفالاً

لإصلاحها مناديل لتمسح بها تلك الأقفال؟

ص.المفاتيح: بحكم العادة أمرّ القفل تحت إبطي

لأمسحه بتيابي، لكن تلك الفتاة أخرجت

منديلاً.. هذا المنديل أو شبيها له وقدمته،

فمسحت القفل وأعدته لها.

المحقق: كيف بدت لك تلك الفتاة؟

ص.المفاتيح: لطيفة جداً.. منذ عملت في دكاني لم

يعطيني أحد قبلها منديلاً أنظف به قفله. ألا

يدل ذلك على الاحترام؟

المحقق: أخيراً، ألم تطلب أداة لفتح الأقفال

المستعصية؟ ألم تبدو غاضبة؟

ص.المفاتيح: لا أستطيع أن أتفهمها بشيء.. كانت هادئة..

الغاضبون لا يحترمون الناس، كما أنني لا

أسلم تلك الأداة لأحد إطلاقاً.

المحقق: ألم تبصق عليك عندما خرجت من

المحكمة كعادة من يخرجون وهم يشعرون

بالظلم؟

ص.المفاتيح: صار معظم الخارجين من المحكمة يفعلون ذلك.

المحقق: هل تشهد أمام اللجنة إنها بصقت عليك قبل ليلة اغتيال القاضي؟

ص.المفاتيح: في تلك الجلسة التي سبقت مجيئها إليّ كنت مريضا ولم آت إلى الدكان. أرجو أن تعلم إن مثل هذه الشهادة قد تعرض حياتي للخطر ويعدني الناس جاسوسا للحكومة، وربما تتعرض مصلحتي إلى التوقف

(المحقق يخرج صورة لسلمى ويقدمها لصانع المفاتيح الذي يتأملها)

المحقق: هل هذه هي الفتاة التي جاءت إليك في الليلة التي سبقت اغتيال القاضي؟

صانع المفاتيح: أجل هي عينها. إذا كانت هي المشنوقة، أعتقد إنها من اغتال القاضي رحمه الله.

(ظلام مفاجئ. يصل خلاله حوار المحقق مع صانع المفاتيح)

صوت المحقق: كأن انقطاع التيار دخل في تقاليدنا اليومية.

ص. صانع المفاتيح: لو كان قفلا مستعصيا لعالجته الآن.

ص. المحقق: نرجو منك الانتباه إلى وجوه أشد الناس غضبا وهم ويخرجون من المحكمة، فقد يوحي اغتيال القاضي بإمكانية اغتيال غيره.

ص. صانع المفاتيح: عندما أكون منكبا على عملي لا أستطيع التدقيق في وجوه الناس.

الفصل الثاني

المشهد الأول

(الساحة متسخة. صانع المفاتيح في دكانه وهو يراقب مكنته حيناً ويدقق بالمفتاح الذي يبرده حيناً آخر. بائع الحلوى قرب طبقه النحاسي ويبيده مذبته المتسخة. يبدو أنه باع قسماً لا بأس به من الحلوى. المرة يعبرون الساحة. بعضهم يشرب الماء من البئر وبعضهم يشتري الحلوى. يخرج المحامي من الكهف ويتجه إلى البائع. الناس يبتعدون عن المحامي الذي يتقدم حتى منتصف الساحة وهو يراقب بائع الحلوى بصمت. يصل أحد التلاميذ بثيابه المدرسية ويقف قبالة البائع تاركاً مسافة)

- التلميذ:** أستاذ ، يقول لك المدير عد إلى المدرسة.
- البائع:** إذا لم تعطه الحلوى أيها اللص الصغير.
- التلميذ:** وجد فيها ذبابة ميتة ، وهو لا يحب الذباب.
- (صانع المفاتيح يضحك بصوت مرتفع. البائع يضربه بالمذبة. التلميذ يركض ليستعيدها ويقدمها للبائع)
- البائع:** قل للمدير إنني سأعود بعد ساعة. ألا تحبون الرياضة الحرة؟
- التلميذ:** يقول لك المدير إنه خائف من التقارير إلى الوزارة.
- البائع:** اذهب مع مديرك إلى الجحيم.
- (يفادر التلميذ خائفا مسرعا وهو يلتفت إلى البائع)
- المحامي:** ألا ترى إنك أحوج ما تكون إلى السيد المحامي. معلم مدرسة وتبيع الحلوى المتسخة خلال الدوام؟
- البائع:** وماذا تقول في محام يعمل وسيطا للرشوة بين البلدية ومخالفي البناء؟
- المحامي:** أقول عنه لص فاسد ، إلا إذا علمت إنه سيصير قاضيا قريبا.

البائع: أنت!!!

المحامي: المحامي الذي أسأت وصفه. قل، هل ستستمر في بيع الحلوى وعليها الذباب المقتول؟

البائع: عندما تصير قاضيا سأبيع الذباب الذي عليه حلوى.

(صانع المفاتيح يضحك بصوت مرتفع. البائع يخلع فردة حذاءه ويضربه بها. يضحك المحامي مقهقها)

المحامي: ها قد أصبت ذبابة كبيرة. (لصانع المفاتيح أحضرها له أيها الأحذب الغبي.

(صانع المفاتيح يحضر فردة الحذاء ويضعها قرب قدم البائع الذي ينتعلها ثم يرفس صانع المفاتيح الذي يعود إلى دكانه ويشغل مكنة برد المفاتيح. يختار البائع قطعة حلوى بعناية ويضعها في ورقة أنيقة ليقدمها إلى المحامي)

البائع: هل أنت جاد فيما تقول؟

المحامي: اليوم ستعقد آخر الجلسات للبت في ملف

اغتيال القاضي رحمه الله وبعدها لا بد من
تعيين خلف له.

البائع:
المحامي:
ولن يجدوا خيرا منك. (يعانقه) مبارك سلفا.
إذا.. لنقدم الحلوى للمحقق. أحضر ما لديك
واتبعني.

(يفادران من يسار المسرح. يتجمع الناس
قرب دكان صانع المفاتيح ويتحدثون بشيء
من الجدية)

- : من فاسد إلى أفسد.
 - : عندما يفسد القضاء، في مكان فلن تجد
فيه شيئا صالحا.
 - : (هامسا) يشاع إن سلمى قتلت القاضي
الفاسد وهربت. لا بد أنها ستقتلهم واحدا
واحدا.
 - : سلمى أعدمتم شنقا.
 - : (هامسا) يقال إنهم شنقوا امرأة أخرى
محكومة بالإعدام كي يغطوا فشلهم.
- ص.المفاتيح: سلمى!!
- : ابق في عملك أيها الجرذ الأحذب.

ص.المفاتيح: أنتم لا تحترمون إلا..

(يندفع أحدهم مهددا صانع المفاتيح لكن
الموجودين يحولون بينهما. صانع المفاتيح
يوقف مكنته ، ويفلق دكانه ويغادر من
يسار المسرح وهو يبتسم بمرارة. يبدأ الناس
بمغادرة الساحة. صوت أحد القطارات وهو
يطلق صفيره للحظات ثم يصل صوته
متصاعدا حتى يتعد شيئا فشيئاً)

المشهد الثاني

(ظلام. ضوء القمر يرينا بصعوبة القاضي
نائماً فوق سريره لا يطول الأمر حتى يختفي
القمر ويعم ظلام دامس. موسيقا هادئة
تتحول تصاعدياً إلى ضربات تشي بخطر
قادم مع غياب القمر. يرن جرس الباب.
ينهض القاضي ويجلس على السرير مصغياً
لفترة)

القاضي: هل تريد شيئاً أيها الحارس؟

صوت سلمى: (منخفض جداً) لست (بصوت طبيعي)
الحارس سيدي القاضي.

القاضي: انتظر أيها الحارس حتى أجد سماعتي.
(ضربات الموسيقى أكثر إحياء بالشر.
القاضي ينزل عن السرير)

القاضي: اللعنة على الظلام. لم أجد تلك السماعة.
(يتحرك خلال الظلام ليفتح الباب. يبدو

منحنيا بصورة تثير الشفقة على الرغم من
فساده، ولمجرد انفتاح الباب تدخل سلمى،
وتغلق الباب خلفها وتدفع القاضي نحو
السريير. تشعل شمعة أحضرتها أو بحثت
عنها في المكان. القاضي مرعوب)

القاضي: سلمى!! ما الذي جاء بك يا ابنتي في هذا
الظلام؟

سلمى: ما يجيء بالمظلوم عندما يغيب القانون أيها
القاضي الفاسد.

القاضي: لا أنكر أنني فاسد... الفساد مرض مثل
الرشح يشيع عندما تتوفر عوامله. هل
تعتقدين أنني أجمع الرشوة لحاجتي إليها؟
الفساد لعنة القانون عندما يصدأ..

(يتوقف عن الكلام مرعوبا وهو يرى
سلمى تخرج منديلها وتبلله بالماء من إبريق
قرب السريير)

القاضي: ما الذي تفعلينه يا ابنتي؟

سلمى: سأطهرك من تلك اللعنة أيها القاضي.

القاضي: إذا كان الأمر يتعلق بما قلته عنك البارحة..

سلمى: بل بما قلته عن الصغيرة. ابنة الخامسة.

القاضي: كنت مخطئاً.. أو لنقل إنني أشرت إلى مدى انحطاط المتهم. ثياب ابنة الخامسة لا يمكن أن تغري رجلاً سوياً. أجل هذا أفضل.

سلمى: هل يوجد شيء يساوي إنسانية الإنسان؟ ما الذي وعدك به ذلك المجرم الحقيق؟
(بيدي القاضي تألمه بشدة، فيتلوى ويجلس على الأرض)

القاضي: ها أنا أموت ندماً فلا تلوّثي يديك الطاهرتين.

سلمى: قد تموت من كل شيء إلا من الندم. لقد تأخرت. فقدت فرصتك. هل توصي شيئاً؟
سيعدمونك.

القاضي: يكفي المظلوم ساعة من الحرية تلي موت ظالمه.

(يحاول القاضي النهوض فتدفعه ليستقل على الأرض وتضع المنديل على فمه لفترة قصيرة فيتراخي جسده. تتأمله قليلاً)
ما كنت أتخيلك ضعيفاً إلى هذا الحد.

(تبحث عن المفتاح قرب السرير، ثم تطفئ)

الشمعة، وتغادر. نسمع صوت قفل الباب ثم صوت خطوات تركض في الظلام. صوت كلب ينبج ثم يضيع نباحه خلال صوت وحركة قطار مغادر يبتعد صوته شيئاً فشيئاً. يضاء الكهف، فترى المحقق والمحامي ورجل 1 ورجل 2. المحقق يشرح لهم وجهة نظره)

المحقق:

هذه وجهة نظري الأخيرة فيما حدث، أعتقد إن هذا السيناريو أفضل ما يفسر طريقة اغتيال القاضي، فسلمى لم تحصل من صانع المفاتيح على تلك الأداة، وبالتالي لا بد من افتراض أن القاضي هو من فتح لها.. من كان له تصوّر آخر فليفضل به.

المحامي:

لنعتبر إن عملية الاغتيال تمت كما تحدثت... كيف فُتح باب القاضي في اليوم التالي، ما دامت قد أخذت مفتاحه معها كما تخيلت أيها المحقق؟

رجل 2:

معي نسخة عنه، وأنا من فتح الباب ووجد القاضي مقتولاً... ولم تكن السماعة في أذن القاضي فعلاً..

المحقق: للأسف نحن نعود لتخيل ما جرى بعد إعدام المتهم.

المحامي: يبدو تخيلك لما جرى منطقياً.. أجل الافتراض معقول إذا اتفقنا على أنها القاتلة.

المحقق: كل القرائن ضدها.. الدافع والمنديل، ومع ذلك يبقى الأمر افتراضاً

المحامي: أنا أقترح إقفال الملف نهائياً، وهذا ضروري قبل تعيين قاضٍ للمحكمة.

المحقق: (يتجه إلى المحامي) أعتقد إنك حظيت بالموافقة على تولي المنصب.

المحامي: أجل سمعت ما يوحي بهذا.. أرجو ألا تؤول أموري إلى ما آل إليه حال القاضي السابق.

المحقق: أرجو ذلك.. فأنا لا أستبعد تماماً أن... لا لا.. لا أريد إخافتك، لكنني أنصحك بتوخي العدالة.

المحامي: اسمحوا لي بالانصراف سيدي، كي أبدأ بترتيب أموري (لرجل 2) تعال معي أيها الحارس. سأبدأ عملي بالقبض على... عفوا لن أتحدث الآن...

- (يخرج المحامي ورجل 2 عبر خلفية الكهف.
يتجه المحقق إلى رجل 1)
المحقق: بدا وجهك كالحالم وأنا أخبر المحامي
بتعيينه قاضيا.
رجل 1: سيدي....
المحقق: أعرف.. المحامي رجل فاسد. أجل هذا
صحيح.
رجل 1: مع أنني جديد في الخدمة لكنني أعرف أنه
فاسد.
المحقق: كيف عرفت ذلك؟
رجل 1: (مربكا) هكذا يقولون؛ لقد عمل وسيطا
في عمليات رشوة.
(المحقق يقترب من رجل 1 ويضع يده على
كتفه)
المحقق: هل تحدثت مع الفتاة التي اغتالت القاضي
قبل فعلتها؟
رجل 1: (مربكا) لا. إطلاقا.. المحامي ليس فاسدا
جدا.. لقد تحدثت بما لا أعرف تماما. أنا
أعتبر كل من لهم شكل وجهه فاسدين،
وهذا لا يصيب دائما.

المحقق: الخوف من قول الحقيقة يقتلها بني. المحامي
أكثر الناس فسادا في هذه المدينة.

رجل 1: ربما كان تولى الفاسد منصبا مهماً
يساعد على إصلاحه.. أقصد على إصلاح
الفساد.. عندما يشبع يصير صالحا.

المحقق: الفساد لا يتعلق بالأشخاص. يكاد يتشابه
الجميع في هذا الموضوع.. الأمر يتعلق بفساد
القانون لا الأشخاص. القانون الصالح جدا
يصير أسوأ القوانين عندما لا يُطبق. أطفئ
النور عندما تغادر.

(يغيب المحقق عبر عمق الكهف كذلك
يفعل رجل 1 حيث يطفئ النور ويتبع المحقق.
ظلام دامس لا يقطع شئ سوى حركة
القطارات ذهابا وإيابا. نرى المحامي عائدا
إلى الكهف مستخدما ضوء (قداحة)
إشعال السجائر يتبعه رجل 2. عندما يصيران
داخل الكهف يطفئ تلك الأداة. أضواء
القطارات تظهر المكان بين الحين والآخر
المحامي يتحدث هامسا).

المحامي: الواقع لم يكن المحقق خياليا وهو يتحدث
عن احتمال محاولة الفتاة اغتيالي.

رجل2: أنت تصدّق حكاية هروب القاتلة سلمى إذا.

المحامي: ربما ظهرت ألف سلمى. صار الطريق مفتوحا أمام الجميع. لم يعد للقضاء هيبة.

رجل2: أنتتوقعون أن يفكر أحد في اغتيالكم - لا تؤاخذني - من الليلة الأولى؟

المحامي: لأن الجميع يظنون أنني فاسد جدا.

رجل2: غوغاء. يعتبرون كل غني فاسد.

المحامي: في الواقع أنا فاسد بالفعل، ولا أتوقع أن أغير طباعي.

رجل2: أنت رجل شجاع إذ تعترف بالحقيقة.

المحامي: لكنني سأقضي على فساد الآخرين ممن يغتالون القضاة. لا تقل إنك خائف. الخطة واضحة ودقيقة جدا.

رجل2: سوف أنفذها كما هي، وإذا أمسكت بالقاتلة، ستنفذ وعودك لي.

المحامي: لا بد أنها تحوم حول المكان هذه اللحظات.

(صوت رياح قوية مترافقة مع حركة القطارات)

رجل2:

ربما وصلت الآن في أحد هذه القطارات.
أجل...

المحامي:

لدي إحساس أننا سنضع أيدينا على قاتل
ما وسنقدمه للعدالة. سيكون نجاحي
الأول... وإعلان هيبتي الأول.

(يتابعان الحديث لكن حديثهما يضيع
وسط صافرات المحطة والرياح. يستمر
المشهد لفترة وجيزة. يغادر المحامي، بينما
يقوم رجل2 بوضع الستائر على خلفية
الكهف ليجوله إلى نافذة وبقية المكان إلى
غرفة نوم القاضي. يحضر فراشا يضعه في
يمين الغرفة على الأرض مباشرة بحيث
يترك اللحاف يوحي بنوم أحدهم تحته، ثم
ينزوي خلف ستائر النافذة ممسكا بعضا
غليظة. تخف حركة القطارات بالتدريج
وكذلك إضاءاتها ويسود الظلام مع
أصوات الرياح. لا يطول الأمر حتى ينطلق
صوت كلب ينبج. موسيقا تشي بخطر
قريب. وقع خطوات تقترب ببطء مع لهات
صاحبها من حين لآخر)

المشهد الثالث

ساحة عامة

(المكان نظيف. عامل النظافة يرفع الورقة الأخيرة ويضعها في كيسه. يتأمل المكان راضيا عن عمله)

دكتور في النظافة.

العامل:

(يدخل بائع الحلوى. يضع طبقه النحاسي المملوء بالحلوى على جذع الشجرة. يتأمل الساحة النظيفة، ثم ينحني فوق البئر. ينقل نظره بين الساحة والبئر)

البئر أيضا؟

البائع:

أحضروا عاملا متخصصا بتنظيف الآبار.

العامل:

(يغادر العامل. البائع ينبطح على بطنه مدققا في قاع البئر، ثم ينهض ويمتدح بعض الماء ليتذوقه)

البائع: لقد... لم تكن هذه النظافة معهودة. العودة إلى الصف أجدى.

(يعاود النظر في الساحة، ثم يغادر. تدخل مجموعة من الناس عبر يمين المسرح ويساره يفاجؤون بخلو الساحة)

أحدهم: ألم يحضروها بعد؟ هل تصدقون الحكاية؟ كيف ألقوا القبض عليها وهل هي سلمى؟

(يدخل المحامي يتقدمه رجل 2، فيعم الصمت. يتجه إلى يمين المسرح يشرح لرجل 2 مستخدماً يديه أكثر مما يستخدم لسانه)

المحامي: ليقف الناس هناك بعيداً عن هذا المكان. يقفون في أقصى نقطة تمكّنهم من مشاهدة الساحة. (إلى الناس) هل من أسئلة؟

أحدهم: من الذي حاولت الفتاة قتله هذه المرة؟

المحامي: آسف.. هذا سرّي.

امرأة: أين ألقيتم القبض عليها؟

- المحامي:** أعتذر مرة أخرى. هل من سؤال آخر؟
- ثالث:** هل الفتاة هي ذاتها التي اغتالت القاضي الفاسد؟
- المحامي:** أنتم تختارون ما لا يمكنني الإجابة عنه. آسف. انتهى وقت الأسئلة.
- امرأة2:** هل ستعدم اليوم؟
- المحامي:** ستعرفون بعد قليل. أرجوكم أن تخلوا الساحة. يمكنكم التفرج من بعيد.
- (يبدأ رجل2 بدفع الموجودين إلى يمين الساحة فيقفون متزاحمين للوقوف في الصف الأول. يرن هاتف المحامي، فينتحي جانبا ويتحدث باهتمام. كذلك يرن هاتف رجل2، فينتحي جهة أخرى ويرد بالطريقة ذاتها. ينهيان المكالمة في وقت واحد ويتجهان معا إلى اليسار وينظران بترقب. يصل رجل1 راكضا ويهمس بأذن المحامي بضع كلمات ويعود من حيث أتى. المحامي يقترب من الناس في اليمين ويحدثهم وهو يلتفت خلفه قلعا من حين لآخر)
- المحامي:** أيها الناس، صرت قاضيا وأنتم تعرفون كم كنت فاسدا ومفسدا..

أحداهم: أجل...

المحامي: وبما أنني أعجز عن الاستمرار كما كنت بسبب العزم على تطبيق القانون، فأنا أعلن أمامكم عن تنصلي من أية وعود قطعتها لأي منكم بالحكم لصالحه من غير حق.. والأموال..

(يشير المحامي بيديه طالبا الصمت)

المحامي: ستعاد الأموال إلى أصحابها... حتى إشعار آخر.

(يعود المحامي إلى يسار المسرح. يبدأ الناس في اليمين بالتقدم لكن رجل 2 يسرع ليقف في مواجهتهم، ويبقى أمامهم وهو يوليهم ظهره ماذا يديه على امتدادهما ليحجز الموجودين بينما يمط عنقه إلى الأمام مترقبا كما الآخرون)

أصوات: (من الخارج) عاشت الفتاة البطلة.

- : أطلقوا سراحها.

(يدخل المحقق من اليسار برفقة رجل مهم. يتجهان إلى الكهف الذي صار امتدادا

للمكان حيث طاولة دون كراس حولها.
يعم الصمت الثقيل. يتقدم الرجل المهم حتى
يلاصق الطاولة)

المهم:
قبل كل شيء ليتفضل السيد القاضي
الجديد بالوقوف بيننا.

(يتقدم المحامي ويسلم على المهم والمحقق
ويقف قريبهما)

المهم:
نرجو أن تنجح تجربة السيد المحقق الذي
اعتمد على تطبيق القانون وليس نوايا أو
مظاهر الأشخاص. أما فيما يخص قضية
اليوم فأرجو أن يمهد لها السيد المحقق.

(يتنحى جانبا ليحل المحقق مكانه. يتأمل
الموجودين في العمق قليلا)

أصوات:
عاشت سلمى إلى الأبد.

- :
عاشت. عاشت. عاشت.

المحقق:
قبل الكشف عن القاتل أحب أن أرى
شخصا طالما شاهده قرب المحكمة. أين
صانع المفاتيح الأحذب، ليشهد ما جئتم
لمشاهدته؟ ليذهب إليه أحدكم ويحضره.
لقد...

(أصوات ضحكات سخرية)

صوت: لن يستطيع الوصول، فربما وطأته الأقدام.

ثان: لتطأه، فربما ينعدل وضع حدبته.

(الضحك من جديد.)

المحقق: هو ليس بينكم إذا. كثيرا ما كان شديد

الخوف وأنا أسأله عن تلك الفتاة.

(المحقق يشير بيده إلى جهة اليسار فيدخل

رجل 1 يقود المتهمة المرتقبة وقد وُضِعَ على

رأسها ووجهها كيس خيش يغطيها حتى

القدمين. يعود التدافع بين الناس ليروا

أكثر، فيسرع رجل 1 لمعاونة رجل 2 في

إرجاع الموجودين إلى الخلف. يتقدم المحقق

ويرفع كيس الخيش. فيبدو صانع المفاتيح

الأحدب تحته وهو يرتدي ثياب فتاة.

يضحك الناس من منظره لكنهم سرعان

ما يحجمون عن ذلك وقد أخذتهم المفاجأة)

- : صانع المفاتيح الأحدب!!!

- : صانع المفاتيح الطيب!!!

المحقق: الهيئة تسمح - من باب الشفافية كما هو

القانون - للمجرم أن يقدم رأيه.

صانع المفاتيح: (يتلعثم في البداية وشيئا فشيئا ينعدل حديثه) لا ادري من أين أبدأ... لم أعود إتقان الحديث، لأن.. لأن الناس نادرا ما.. ما يصفون إلي... لا بأس. من البداية.. لا أعتقد أنكم نسيتم كيف مات مدير الجمارك الفاسد... ذاك الذي تواطأ مع المهريين على إدخال حلوى فاسدة سممت الأطفال، بينما القانون مكتوب على الورق فقط. يومها عرفت إن القانون مثل الملح إذا طُبِّق أصلح كل شيء وإذا... وإلا صار كالمح الفاسد يفسد كل ما يمسه... هكذا فكرت، فأنا رجل بسيط ربما لا أجد التفكير.. لكنني هذا ما اعتقدته... هل أذكركم ببعض من قُتلوا.

- : لم يكن يتحدث بهذه الروعة. ما أجمل حديثه!!!

المحقق: قُتل مدير الجمارك وأُعدم قاتله ذاك الفتى الذي ترك بطاقته دليلا على جريمته، ثم قتل القاضي لا تكرر ما نعرفه.

ص.المفاتيح: لا تعرفون شيئاً.. لم يعدم قاتله بعد. ولا قاتل ذلك القاضي الفاسد.

المحقق: لم تُعدم قاتلته!!! أليست سلمى التي...

ص.المفاتيح: لو سمحتم لي بإيضاح الأمر.

(ينظر المحقق إلى الرجل المهم الذي يوافق بإشارة من رأسه. ظلام. موسيقى تمثل الريح الشديدة مترافقة بصافرات القطارات المتحركة في المحطة. ضوء شمعة يعبر من اليمين وحتى دكان صانع المفاتيح، حيث نراه يغلق دكانه منتظرا صاحب الشمعة الشاب. يتبادلان حديثا خافتا. الشاب يضع الشمعة في مكان مناسب ويشد أطراف ثوبه على جسده من البرد)

الشاب: أرجوك يا سيدي. تعطل قفل بيتي في هذا الظلام. انظر.

(يبحث داخل ملابسه ويخرج قفلا يحتفظ به في يده)

ص.المفاتيح: لا يأتي أحد في هذا البرد من أجل قفل
معطل. لم لا تأتي غدا؟

(ينحني الشاب مقبلا رجل صانع المفاتيح
ياكيا)

الشاب: تعرف مدير الجمارك وما سببه.. لقد مات
ولدي الصغير مسموما بقطعة حلوى.

ص.المفاتيح: أجل.. مات غيره أيضا، لكن مدير
الجمارك ربح ثمن قطع الحلوى تلك.

الشاب: ارتاح الميت، ولكنني أموت كل دقيقة..
أريد أن أقتله... الحقيقير.

ص.المفاتيح: غياب القانون هو قاتل ابنك بني.

الشاب: مياه البحار لن تطفئ غضبي. سأقتله في
غياب القانون أيضا.

ص.المفاتيح: التمس سلاحا من مكان آخر بني. أنا
مجرد صانع أقفال مسكين.

الشاب: سلاحي عندك وحدك.. تلك الأداة التي
تُفتح بها الأبواب المقفولة.

ص.المفاتيح: ستعدم..

الشاب: كدت أقدم على الانتحار من شدة حزني.

لا أحد يعرف حاجة المظلوم كما قلبه.
لأعدم ألف مرة وأنا أعلم أنني قتلته.

ص.المفاتيح: وسأعدم أنا لأنهم سوف يجدون الأداة..

(صمت قليل يقطعه صاحب المفاتيح)

ص.المفاتيح: أنت مصمم..

الشاب: قبلت قدمك يا رجل. أعطني تلك الأداة،

وعلمني كيف أستخدمها.

ص.المفاتيح: أعطني ما يدل عليك شخصيا.. بطاقتك

مثلا.

(الشاب يخرج بطاقته بلمح البصر. يدقق

صانع المفاتيح فيها قليلا ويحتفظ بها في

جيبه)

الشاب: وما نفعها؟

ص.المفاتيح: أنت لن تجيد عملك لأنك من فعل وقد

تفشل... سأستخدم تلك الأداة نيابة عنك

لأنها صنعتي.

الشاب: وأتسلل إليه بلمح البصر وأخنقه قبل أن

يستيقظ، ثم نغادر معا. رائع..

ص.المفاتيح: دع الحراس يرونك تحوم حول بيته، ثم عد

ونم وتهيأ للإعدام في اليوم التالي. سأقتله
لأنني مقتنع بذلك.

الشاب: أنت!! ما أعظمك!! (يبكي) ما أجمل تلك
الحدبة على ظهرك، تجعلك تبدو كالجمال
الحنون. لا تؤاخذني أرجوك. سأكون
سعيداً وأنا أقاد إلى حبل المشنقة اللذيذ.

ص.المفاتيح: أعطني قفلك الذي أحضرته وقم بما أمرتك
به.

(الشاب يسلمه القفل ويطفئ الشمعة ويغادر
في الظلام. صوت الريح يطفى على كل
شيء لفترة محدودة. أصوات كلاب حراسة
وركض في الظلام. تسلط بؤرة ضوئية على
الكهف حيث المحقق والمحامي والرجل
المهم وصانع المفاتيح الأحذب.

المحقق: آ.. وتكرر الأمر ذاته مع الفتاة سلمى. لقد
أعطتك دليل إدانتها وشنقت صامتة راضية.

المحامي: أنت!! هل تناسيت أنك تنتقم للذين يبصقون
عليك وهم يغادرون المحكمة.

ص.المفاتيح: عندما لا يستطيع المظلوم أن يبصق على
الفاستدين، يبصق على الطيبين أمثاله. لقد

قررت أن أنتقم للفتاة لأنها بصقت عليّ مرتين... (بيكي) كنت أبكي عليهم من الداخل وهم يبصقون. كنت سعيدا وهم يخففون آلامهم. ليبصقوا... هم لا يبصقون على غريب.. بل على رجل منهم... ليبصقوا إذا كان هذا يخفف عنهم.

المحقق: هل لديك ما تضيفه؟

ص.المفاتيح: كنت أتساءل وأنا أقوم بعملتي: هل أصير مجرما إذا قتلت شخصا فاسدا؟ أعرف إن القانون ليس كذلك، لكنه.. أقصد لكنني كنت أعتقد إن القانون ملح الحياة ولا يجوز أن يفسد، أنا لا أجيد التعبير لذلك أقسم أمامكم أنني فعلت ذلك هكذا ببساطة.. لم أستطع التفكير فيه.. لكنني فعلته راضيا... لم يعد لدي ما أقوله.

ص.جماعي: عاش صانع المفاتيح الأح.. عاش صانع المفاتيح الأحلى.

المحقق: صرت مجرما باعتبار أن ما قمت به يخالف القانون.

(يبدأ تعنيم تدريجي مع تتمة حديث المحقق ويعم الظلام بانتهائه)

المحقق:

يمكنك توكيل محام أو طلب محام على
نفقة المحكمة، لكنني أعترف لك... إنك
أفضل رجل يصلح المفاتيح ويتقن عمله، وإن
حديثك تبدو جميلة جدا. لم أر طوال حياتي
رجلا بحدبة جميلة بهذه الصورة.

(ظلام يغادر خلاله الجميع المكان مع
صوت صافرة قطار يتحرك ينير ضوءه
المتقطع المسرح من حين لآخر حتى يبتعد.
تبدأ الستارة الأخيرة بالتحرك)

* صاحب موقف

الشخصيات:

من العالم الثالث:

- الضابط.

- العنصر.

- صاحب الموقف.

- زوجته.

شخصيات عالمية:

- الرجل وهو ضابط استخبارات أميركي.

- عميلان للمخابرات الأميركية في روسيا

وقبرص.

* نُشرت في الموقف الأدبي - العددان 474 - 475 - 2010

" يمثل المسرح الكرة الأرضية، حيث تمتد في فضائه حبال متقاطعة تشير إلى خطوط الطول وخطوط العرض. توزّع على الحبال لمبات تضاء كل على حدة عند اللزوم وتترافق إضاءتها مع أصوات تنبيه أقرب إلى الإشارات المستخدمة في الطائرات أو القطارات الحديثة، كما وضعت قرب اللمبات أعلام الدول التي تمثلها، أما فوق الخشبة فالمكان خال تماما، وأقصى استخدام لقطع الديكور لا يزيد عن طاولة وكرسي أو أكثر. الخلفية سوداء بالكامل ما عدا بقع بيضاء صغيرة تضاء من الخلف من حين لآخر لقطع حالة السوداوية التي يشي بها لون الخلفية. يكون التنقل المكاني على الخشبة من بلد لآخر عبر إضاءة اللمبات التي يجاور كلا منها علم البلد الذي تجري فيه الأحداث "

المشهد الأول

"المسرح مظلم تقريبا. يتحرك الضابط
فوقه جيئةً وذهابا. يضيء ساعة يده
متفقدا الوقت. يدخل العنصر. يقدم
التحية"

"هامسا" ليكن ما تقوله مختصرا. هل
أحكمت توزيعها لترصد كل شيء؟

الضابط:

"هامسا" حتى في غرفة النوم سيدي. بعد
اللقاءات الزوجية، يخلد الرجل للنوم،
ويصير عبثاً على السرير فحسب، لذلك
يحاول أن يستعرض أهميته فيحدثها عن
كل ما لديه إلى أن تغفو بما في ذلك
بعض مشاريعه الخاصة، ثم يعرض على
شفتة السفلى ويرقد.

العنصر:

"هامسا" اختصر أيها الغبي. في المرة
الماضية لم تعمل سوى كاميرا واحدة في
دورة المياه. وما عدنا نعرف إلا مواعيد

الضابط:

دخوله الحمام.

العنصر: زميلي أغبى مني سيدي. لا يُراقب ثوري
خطير بمجرد كاميرا. هل بدت تصرفاته
ثورية في دورة المياه سيدي؟

الضابط: لا. لا. عدا بعض الصفير أثناء التبول.

العنصر: ألم يكن الصفير لحنا لنشيد ما؟

الضابط: أحسنت. لم أضع ذلك في حسابي.
الأفضل تحليله.

العنصر: البول!!

الضابط: الصفير. ربما يصير الخيط الأول لمعرفة
انتماءاته السياسية.

العنصر: دورات المياه توفر خصوصية كبيرة للغناء
وللتفكير أيضا.

الضابط: تبدو مثقفا ، وهذا ليس سيئا كثيرا. هل
جرّيت الكاميرات بعد تركيبها؟
أريد التأكد من جاهزيتها.

العنصر: تفضلوا إلى المكتب لتروا عملها سيدي.
"يغيبان في الكواليس. نسمع حوارهما
فقط"

ص.العنصر: يمكنك الحكم على المراقبة. انظر سيدي، كاميراتنا تبث أدنى حركة منه... ها هو سيدي أمام الكاميرا. ها هو.

" يضاء المسرح. إنه الصباح الباكر. صاحب الموقف المراقب قوي البنية. فقير. ينفذ الغبار عن كم سترته. تدخل زوجته. تعطيه قبعة صوف. يضعها على رأسه، فتغطي حتى أسفل أذنيه. يهم بالرحيل فتستوقفه "

الزوجة: لا يزال الوقت مبكرا.

صاحب الموقف: أمكنة تواجد بعض الشباب تحتاج النهوض المبكر.

الزوجة: لم تصل الصباح، ولم تحضر البطاطا من السوق.

صاحب الموقف: صليت البارحة، ولدينا من البطاطا ما يكفي.

الزوجة: لو تتخلى عن موقفك... ألا ترى ما نحن فيه؟ أصحاب المواقف تاجروا

بها وقبضوا أثمانا جيدة. أرجوك. من أجل الأطفال.

صاحب الموقف: أحذرك من تكرار هذا. لست من يغدر بأولئك الرجال.

" يغادر. ظلام حيث يوقف الضابط والعنصر متابعة ما صورته الكاميرات. يصل حوار الضابط مع العنصر "

صوت الضابط: ليس شيوخيا. لقد صلى البارحة.

صوت العنصر: لكنه لم يصل اليوم. نام مؤمنا واستيقظ ملحدا. ربما كان شيوخيا إلى حد ما

صوت الضابط: إلى حد ما!!! هل تقول عن امرأة إنها حامل إلى حد ما؟ هذا إما أن يكون وإما لا يكون.

"الضابط يخرج إلى المسرح يتبعه العنصر"
نفذ الخطة ب فورا.

الضابط:

لدي أسرة سيدي، ولابد أن يكون أمثاله خطرين. دعني أنفذ الخطة أ. أ ونتخلص منه..

العنصر:

ما الذين يعتقدون عنصر مثلك؟ أ ليس لدي أسرة أو لا أحب زوجتي؟ أعتقد

الضابط:

إن زوجتك أجمل؟ أو أطفالك أكثر
براءة؟ كلنا نخاف الأشخاص الخطيرين،
لكنه العمل بني. هيا ولا تخف. أريد
حجة قانونية لاعتقاله فقط.

(مع نفسه) الشعب الحي لا يخلو من ثوري
هنا ومعارض هناك. ياله من صاحب
موقف أدخل السرور إلى قلبي!!! لا نزال
بخير.

العنصر: هل تحدث نفسك سيدي؟

الضابط: أريد ذلك الرجل صاحب الموقف العنيد في
مكتبي... وفي أقرب وقت.

العنصر: حاضر سيدي.

" يغادر الضابط من جهة والعنصر من
أخرى. موسيقى هادئة "

المشهد الثاني

اتصالات دولية تعبّر عنها الإشارات
اللاسلكية والإضاءة الخاطفة المتعاقبة
للمبات. يضاء المسرح تتدلى من المواقع
العالمية كاميرات مراقبة. صمت قصير.
تضاء اللمبة التي تشير إلى موقع أميركا.
تحتها مباشرة طاولة يجلس خلفها رجل
استخبارات. على الطاولة علم أميركي
وعدة هواتف. يرن أحدها "

الرجل: ألو...

صوت: رئيس الولايات المتحدة على الهاتف الأزرق.

" ينهض الرجل. يرفع السماعة المحددة
ويبقى واقفا "

الرجل: احترامي سيدي الرئيس!

صوت الرئيس: أريد معرفة ما يجري في ذلك الحي من
الشرق الأوسط، وعلى وجه السرعة.

الرجل: تقصدون زيارة معاون الدلاي لاما إلى...
ص.الرئيس: "مقاطعا" بل ما يشاع عن الرجل صاحب
الموقف المتشدد. لا نريد الاعتماد على
معلومات بلاده.
الرجل: ليس لدي معلومات سيدي.
ص.الرئيس: الأمة تدفع نفقاتك ونفقات زوجتك
وكلابها وحلأقيها لتعرف كل شيء.
الرجل: حاضر سيدي الرئيس. أجل.
"صوت سماعة الرئيس تُغلق الهاتف. الرجل
يطلب رقما ولمجرد ذلك تضاء
اللمبة التي تمثل روسيا الاتحادية. حيث نرى
العميل الأمريكي هناك"
العميل: أسمعك سيدي.
الرجل: ما الذي جمعته عن الرجل صاحب الموقف
المتطرف في الشرق الأوسط؟
العميل: لم تصلني عنه أية معلومات.
"الرجل يغلق هاتفه ويجري اتصالا آخر.
تعتيم على الموقع الروسي. تضاء اللمبة التي
تمثل قبرص. يخرج العميل الأميركي في

- العميل: قبرص إلى المسرح راكضا وهو يتكلم "
- العميل: تمت تصفية إسلامي تحت جسر في دافاو جنوبي الفلبين. ثمة صاحب موقف متطرف في الشرق الأوسط كما تقول المخابرات الإيطالية. هذا ما لديّ سيدي.
- الرجل: يهتمون بهذا الأخير بالتحديد في واشنطن. لا يريدون أصحاب مواقف ثورية في المنطقة.
- العميل: الفساد هناك يجعل المرء لا ينظر إلى أبعد من ظله عند الظهيرة.
- الرجل: الرئيس والخبراء هنا يخافون زيادة الفساد في تلك المناطق.
- العميل: أنفقوا عدة مليارات لدعم الفساد في بلد واحد والآن...
- الرجل: يريدون فسادا تحت الخط الأحمر. تذكر أن شاه إيران لم يسقطه إلا رجل واحد آمن به شعب مظلوم.
- العميل: أجل. الفرنسيون يلعنون أنفسهم كلما أشرقت الشمس لأجل هذا.
- " الرجل يغلق هاتفه. تُطفأ اللمبات كافة "

المشهد الثالث

يضاء المسرح بلون أحمر. صمت مطبق.
يتقدم العنصر من يسار المسرح مرتديا
ملابس رثة إلى درجة غير مقبولة. يتفقد
مسدسا أخفاه تحت ملابسه. يضعه في حالة
الجاهزية، ثم يعيد إخفاءه. يلتفت إلى
الخلف قلقا.

العنصر: يحب زوجته وأنا من يموت في مواجهة ثوري
موتور. ربما لن أعود...

" يقف صامتا شارد الذهن. موسيقى تدعم
جو الحلم. يدخل إلى المسرح رجل مقنّع لا
نرى سوى عينيه كما يتخيله العنصر.
يتقدم المقنع ويصفعه بقوة "

المقنع: أرسلوك لتندس بين صفوف الثأرين
الشرفاء.

" يخرج مسدسه "

العنصر: أنا مجرد عنصر. وهذه الخطة ب.

المقنع: لولا مسدسي لادّعت البطولة.

العنصر: أنا رجل فقير وبائس. هل تريد أن أقسم على ذلك؟

المقنع: الثورة من أجل أمثالك أيها الغبي، وها أنت تتحدث عن الخطة ب. لماذا لا تنفذ الخطة أ. أ وتقضي على حياتي؟!!

" يطلق عليه النار فيرديه قتيلا. يسقط على الأرض لفترة محدودة ، ثم ينهض منتبها من شروده. يلتفت حوله قلقا "

العنصر: أرجو ألا يحدث ما فكرت به.

" يتقدم صاحب الموقف من يمين المسرح. يسرع العنصر إلى الجلوس على الأرض ماذا ساقية إلى أبعد مسافة ممكنة "

العنصر: ها هو. لا يبدو قاتلا. " يمد يده سائلا " من

مال الله. اللعنة على حظي العاثر.

" بسرعة " زمان فيه صار الفاسد حكيما والحكيم جرذا. من مال الله.

صاحب الموقف: أخزأك الله. انهض. انهض واعمل

" يقف العنصر متصنعا الانكسار "

العنصر: أعمل!! ما بقي من عمل يسير، احتكره
الذين تعرفهم. لذلك تراني كما تراني. من
مال الله يا سيدي.

صاحب الموقف: أليس عملك هذا عارا على بطن حملك؟

العنصر: العار في كل مكان يا سيدي. إنه يجتاح
المدينة. " لحظة صمت " يشاع في هذه المدينة
عن رجل شجاع صاحب موقف لا يحيد
عنه، يناصر الحثالة أمثالي.

" صاحب الموقف يدفع العنصر فيلقيه أرضا "

صاحب الموقف: أنا من تتحدث عنه أيها التافه!! ومن أتعامل
معهم، ليسو كما تقول. إنهم الشرفاء
فقط.

" يبصق على العنصر ويغادر لكن العنصر
يمسك بساقه متوسلا "

العنصر: أنت هو يا سيدي؟ أتوسل إليك أن تسمعني
إذا.

صاحب الموقف: لا تتوسل. قل، ولا تُهن الذين يعملون معي.

العنصر: أيق لمثل أن تصير عيناه في مواجهة عينيك
يا سيدي؟

صاحب الموقف: انهض أيها التعس. " ينهض العنصر واقفا "
سترفع رأسك عاليا. الأنذال واللصوص
والشحاذون - لا تؤاخذني - هم فقط من
تنحني قاماتهم. سأجعلك تنضم إلى
الجماعة عندي وتعيش شريفا عزيزا.

العنصر: أوه اعذرني يا سيدي. أنا مع صاحب الموقف
وجها لوجه!!! لتشهد السماء إنه يوم
مختلف.

صاحب الموقف: قريبا ستكون واحدا منهم، وتتفق معهم
على مكان تواجدك، لا يجوز أن يعمل
اثنان في منطقة واحدة.

العنصر: متى يا سيدي؟

صاحب الموقف: نحن نلتقي جميعا في نهاية كل شهر. أقدم
لهم الشاي طبعاً. يجب أن نلتقي أنت
تعرف.... تحديدا في الثاني من كل شهر.

العنصر: أجل. أجل. الاجتماع المقدس. لمَ لا؟ نجتمع
وما المشكلة؟

صاحب الموقف: ثمّة مكان بيننا لرجل جديد. أيضا تطلّع على بعض الشروط.

العنصر: موافق يا سيدي. أراك قريباً. أستحم وأتبع.
" يغادران من جهتين مختلفتين. إشارات لاسلكية يرافقها وميض اللمبات هنا وهناك " ظلام. صراخ وشتائم. بكاء وآهات."

صوت العنصر: لا أعرف سبباً لكل هذه الشتائم والضرب.

صوت الضابط: نريد معرفة كل شيء عن موقفك اللعين.
هل فهمت الآن؟

صوت العنصر: أنا لا أخفي شيئاً، لكنني لا أفرط بموقفني، ولا أساوم عليه. الكذابون وحدهم تبدو وجوههم صفراء متغضنة. ألا تريد أن تعرف كل شيء عن موقفني؟
تفضل.

المشهد الرابع

بقعة ضوئية على صاحب الموقف وقد سال
الدم من وجهه ومُرَّق ثوبه وإلى جانبه
الضابط والعنصر يقف الجميع في خلفية
المسرح أمام باب خشبي قديم من مصراعين
يدفعهما صاحب الموقف فيتباعدان
مصدرين صريرا قويا. الضابط يهتئ
مسدسه وكذلك العنصر. ينظران إلى
الداخل بحذر. إنه مخزن قديم وواسع فيه
الكثير من عربات الباعة الجوالين وعُددة
الدهانين وصناديق البويا.... "

الضابط: ما علاقة موقفك بهذا المكان الخرب؟ لمن
تلك العربات وصناديق البويا؟

صاحب الموقف: هذا هو موقفي. يأتي إليّ الباعة الجوالون
ويودعون عرباتهم وصناديقهم آخر النهار
مقابل أجر بسيط، ثم نلتقي شهريا
ليسددوا ما عليهم. تريدون شراءه؟ أنا لا

أبيعه. ألسنت حرا؟ الحكومة وأسئلة
الصحفيين: أنت صاحب الموقف؟ أنت
صاحب الموقف؟ أجل أنا، ولن أبيعه ولن
أتخلى عنه. إنه موقفي. أليس موقفي؟

الضابط: هذا ما تتمسك به؟ هذا موقفك الذي يشاع
عنه ما يشاع؟

صاحب الموقف: ألسنت حرا في ملكي؟ سبحان الله!!

" الضابط يصفعه بقوة "

الضابط: عليك اللعنة. خيبت أمني. تمنيت لو أنه من
نوع آخر. موقف آخر.

صاحب الموقف: تضربونني عندما تعتقدون إنه موقف آخر،
وعندما لا يكون كذلك تضربونني أيضا!!

الضابط: بني أنت لا تعرف شيئا، أو لا تعرف كل
شيء. اذهب ولن يسألك أحد بعد الآن.

" يغادر صاحب الموقف عبر مخزنه. تختفي
البقعة الضوئية. ترتفع كاميرات المراقبة
المتدلية من السقف. مترافقة مع ضحكات
هستيرية.

المشهد الخامس

يضاء موقع أميركا. رجل الاستخبارات
خلف طاولته متحدثا على الهاتف "

الرجل: احترامي سيدي الرئيس. القضية مجرد
لبس سيدي.

صوت الرئيس: مع ذلك لا تتوقعوا نهاية الإرهاب. فقط
ضمننا أن يغمض العالم عينيه آمنا ليوم آخر.

الرجل: سنستمر في إحصاء أنفاسهم، وعدد المرات
التي يقبلون فيها زوجاتهم سيدي.

ص.الرئيس: الله معنا والعالم خلفنا.

الرجل: أجل سيدي. الرب في الأعلى فوق بعيدا
جدا، وهنا نحن وعلى الأرض السلام.

"صوت سماعة الرئيس تُغلق الهاتف. الرجل
يضع السماعة. يغادر المسرح. تضاء اللمبات
بالكامل. موسيقى حزينة أقرب إلى النواح.

المشهد السادس

" يجلس الضابط على كرسي وقد علت
الكدمات وجهه. ينظر إلى ساعة يده من
حين لآخر. يدخل محقق "العنصر سابقا"
فيقف الضابط.

المحقق: تفضل بالجلوس لو سمحت.

" يجلس الضابط على كرسيه ، بينما يأخذ
المحقق مكانه خلف طاولته مدققا في ملف
معه. يرفع رأسه بهدوء ، وينظر إلى
الضابط"

المحقق: أنت تعترف بإطلاقك صاحب موقف على
نفسك.

الضابط: أجل.. لا أنكر ذلك.

المحقق: ألا ترى أنك تعرض البلد لتهمة الإرهاب؟

الضابط: الإرهاب!!! هه.. اللعنة على الإرهاب.

المحقق: أخشى أنه ليس الزمن المناسب لما اخترت أن تكونه.

الضابط: نحن من نعطي كل زمن شكله ولونه.

المحقق: أسيء إليك أثناء التحقيق.. أليس كذلك؟

الضابط: الإجراءات.. لا بد منها.

المحقق: خشيت أن تخيب أمني.

الضابط: وهل فعلت؟

المحقق: أخبرنا عندما تغير عنوانك فقط.

" ينهض المحقق ماذا يده ليصافح الضابط
الذي نهض بدوره "

ستارة الختام

يوم عرض الجنود البريطانيون يضربون أطفالا عراقيين

الفهرس

| | |
|---------|----------------------|
| 5..... | الإهداء |
| 7..... | امرأة تحتفظ بحق الرد |
| 23..... | عندما يفسد الملح |
| 97..... | صاحب موقف |